مذبحة الحرم الإبراهيمي

القضية المنسية وسط التخاذل العربي
والاستجابة لأنغام السلام المزيف

أول تغطية جادة فى أول
كتاب يصدر عن المذبحة
فى مصر

محمد عبد الله السمان
حسن عاشور

دار الاعتصام

Bibliotheca Alexandrina
0103595

مذبحة الحرم الإبراهيمي

القضية المنسية وسط التخاذل العربي والاستجابة لأنغام السلام المزيف

أول تغطية جادة في أول كتاب يصدر عن المذبحة في مصر

محمد عبد الله السمان

حسن عاشور

دار الاعتصام

الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية
رقم التصنيف 956.94054
س م م
٣٩٤٢٧
General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

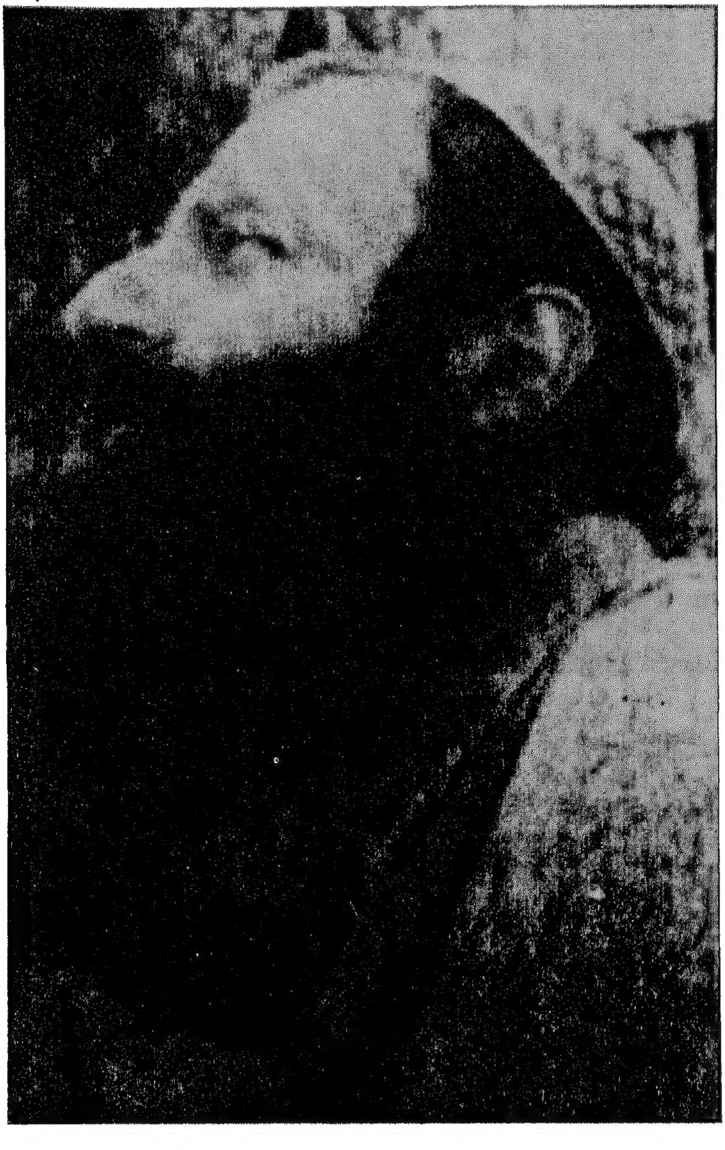

رغم أن التحقيقات كشفت عن وجود اكثر من «باروخ غولدشتاين» في الخليل لحظة ارتكاب المذبحة فإن حكومة اسحق رابين ما زالت تلاحق الشباب الفلسطيني وتطارده ويسقط منهم حتى الآن اكثر مما سقط من شهداء على يد المجموعات المجرمة في مجزرة المسجد.

من هو غولدشتاين وما هي افكار حزبه العنصرية الذي أسسه مائير كاهانا وحظرت الحكومة نشاطه اخيراً بداعي الارهاب؟

اقرأ صفحة ١٦١

الحرم الإبراهيمي الشريف

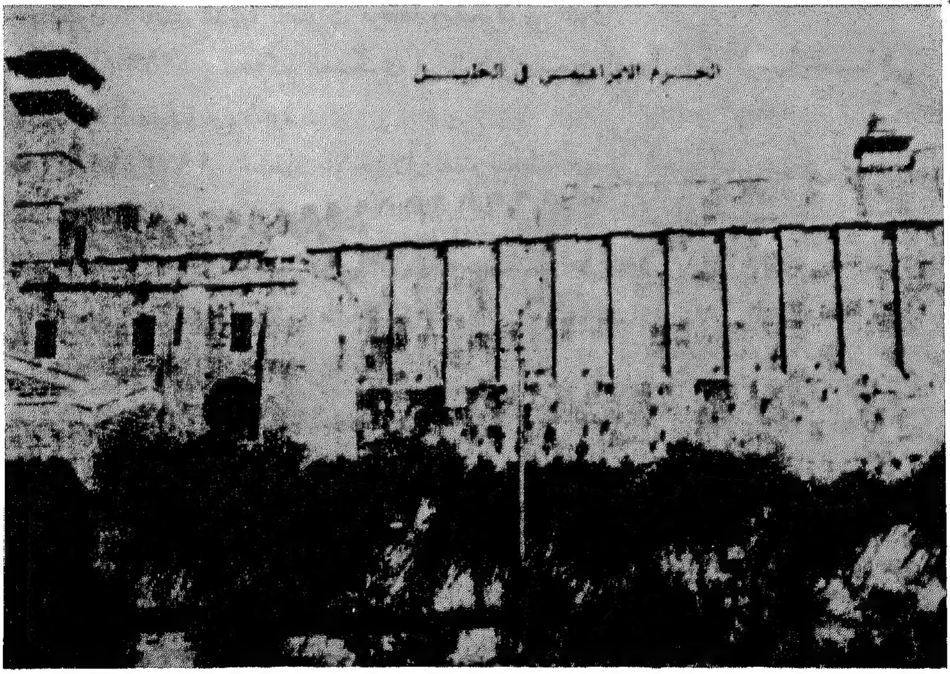

سجل الاعتداءات علي الحرم الإبراهيمي

*** فيما يلى عرض لأبرز الحوادث والاعتداءات التى مارستها سلطات الاحتلال الإسرائيلى فى حق الحرم الإبراهيمى الشريف بهدف تهويده وإنهاء الوجود الإسلامى فيه منذ احتلال الأراضى العربية المحتلة فى العام ١٩٦٧ وحتى العام ١٩٧٦ .**

* **نوفمبر ١٩٦٧** : منع دائرة الأوقاف من فرش الحرم بالسجاد .

* **١٩٦٧/١٢/١٨** : إدخال خزانة حديدية إلى الحرم تحتوى على أدوات عبادة يهودية .

* **١٩٦٧/١/١٣** : مستوطنون يهود يقتحمون الحرم ويقومون بأداء طقوس دينية يهودية .

* **١٩٦٧/٩/٢٥** : سلطات الاحتلال تنسف درع الحرم الإبراهيمى والبوابة الرئيسية المؤدية إليه .. وهما أثران تاريخيان .

* **نوفمبر ١٩٦٨** : متستوطنون يهود يدخلون كراسى خاصة بهم إلى الحضرة الإبراهيمية.

* **١٩٧١** : الحاكم العسكرى الإسرائيلى فى الخليل يدلى بتصريحات توحى بأن سلطاته تعتبر الحضرة الإبراهيمية وهى قلب الحرم كنيساً يهودياً .

* ١٩٧٢/١٢/١٧ : منع المسلمين من أداء صلاة العصر لأن طائفة من اليهود كانوا ينشدون الآناشيد الدينية بأصوات مرتفعة وينفخون فى البوق .

* ١٩٧٣/١١/١ : الحاكم العسكرى فى الخليل يسمح بإدخال ٥٠ كرسياً خشبياً إلى الحضرة اليعقوبية فى الحرم .

* ١٩٧٣/١١/١٠ : سلطات الاحتلال تقوم بتغطية صحن الحرم الشريف فى محاولة لتغيير معالمه الإسلامية .

* يونيه ١٩٧٤ : سلطات الاحتلال تقوم بسلسلة من الحفريات فى محيط الحرم الإبراهيمى من بينها أسفل أرضية « الاستطبلان » وأسفل الباب الثلاثى إلى الداخل وإلى الغرب قليلاً من الباب الثلاثى وأسفل المدرسة الحنفية .

* ١٩٧٥/٧/١٤ : عدد من اليهود يقومون برفع العلم اليهودى على أحد جدران الحرم .

١٩٧٥/٧/٢٧ : عشرون مستوطناً من مستوطنة كريات أربع يقتحمون الحرم ويسرقون مفتاح باب المئذنة ويكسرون أنبوب المياه الموصل للحرم .

* ١٩٧٥/١١/١ : مستوطنان مسلحان يدخلان قبيل صلاة العصر ويمنعان القارئ من تلاوة القرآن الكريم قبل الصلاة بحضور ضابط عسكرى .

* ١٩٧٦/١١/٢ : مستوطنون يعتدون على الحرم ، ويدنسون المصاحف بأقدامهم ، ويعتدون على المصلين المسلمين بالضرب .

١٩٧٦/١١/١٨ : الحاخام المتطرف مائير كاهانا الذى هلك يعلن أنه سيحول الحرم الإبراهيمى إلى قلعة المتطرفين اليهود بهدف ترحيل المواطنين الفلسطينيين من مدينة الخليل .

* ١٩٧٦/٣/٨ : الهيئة الإسلامية تعلن عن مفقودات ذات قيمة يعد فترة من منع المسلمين من دخول الحرم .

« اليـهـود فئـران قـذرة .. وجـراثيـم طفـيليـة ماصة للدماء .. وظالمون عتاة .

ولو تمكن اليـهـود من العالـم بمساعدة الأفكار الماركسية ستكون نتيجة ذلك خراب الدنيا .. لذا أخذت عـهـداً مع الله عز وجل أن أهب نفسى جهاداً ضد اليـهـود ، وقتالاً ضدهم » .

أدولف هتلر

عن كتاب عنه للدكتور
لـويـس . ل . سنـيـدر

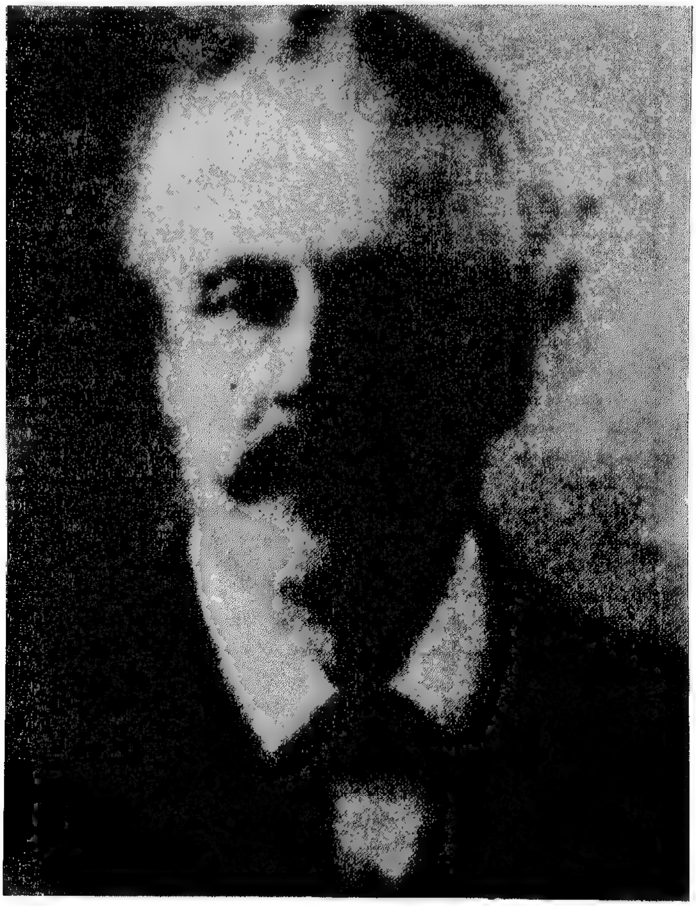

اللورد بلفور الإنجليزى الجنسية وصاحب (وعد بلفور الشهير) بإعلان تصريحه انطلقت الشرارة الأولى للإجرام البريطانى الذى منح اليهود وطناً قومياً تمثل فى أرض فلسطين ظلماً وعدواناً ..
فكان بهذا التصرف صاحب المثل المبتكر : « من لا يملك يمنح من لا يستحق »

١٩٩٤/١١/١٧

صندوق الدنيا

الحرم الإبراهيمى

اسمه الحرم الابراهيمى.. وهو مسجد ابراهيم خليل الله تعالى

يقال - والله تعالى اعلم - ان ابراهيم مدفون فيه وكذلك سارة ويعقوب واسحاق.

وهو مسجد منذ ان بناه المسلمون، وهم يقيمون فيه شعائر الصلاة يوم الجمعة

.. يحيط بالمسجد سور يقف عليه جنود اسرائيليون بالرشاشات والبنادق الآلية، وعلى الراغبين فى الصلاة أن يمروا على هؤلاء الجنود ويتعرضوا لمضايقاتهم.

سمعت الدنيا كلها عن الحرم حين قام احد المستوطنين برش المسلمين المصلين فى فجر يوم من ايام رمضان بالرصاص... سالت الدماء واسفرت المذبحة عن ٣٢ شهيدا من المسلمين.

الجديد فى الموضوع ان اسرائيل قسمت المسجد قسمين: ثلث المسجد للمسلمين وثلثاه للاسرائيليين..

وقع هذا منذ سنوات والقسمة تلخص امانة اليهود واسلوبهم فى الحساب، إن عدد المستوطنين فى المنطقة ٤٥٠ يهودى وعدد المسلمين ١٢٠ الف عربى، واذن وبحسابات اليهود ياخذ اليهود ثلثيه وياخذ المسلمون ثلثة... على اى حال ليس هذا هو الموضوع ، انما يكمن الموضوع فى سؤال:

لماذا تعتدى السلطات الاسرائيلية على مسجد للمسلمين وتقوم بتحويله الى معبد يهودى ؟ هل ضاقت ارض فلسطين عن بناء معبد لليهود جوار الحرم الابراهيمى؟ هل هذا هو الحياد الاسرائيلى المفترض ازاء اماكن العبادة الاسلامية والمسيحية؟

نحن لانكره لليهود ان يقيموا صلاتهم جوار الحرم الابراهيمى ، فنحن وهم رغم اختلافنا فى السلوك والتصورات نؤمن معا بان ابراهيم هو ابو الانبياء، وهو محل تقدير جميع اتباع الديانات السماوية.

ماهو هدف اسرائيل اذن من احتلال المسجد وتحويل معظمه الى معبد ؟ هل هو اذلال المسلمين ام اثبات السيادة الاسرائيلية ام فرط ايمان من اليهود وحاجتهم الى معبد يصلون فيه ويقتلون فيه المسلمين اثناء صيامهم وهم ساجدون ؟

ياالله ... اليس لهذا الليل من آخر؟!

أحمد بهجت

للتاريخ الذى لا يملكه أحد

ما قبل الكتاب ...

بقلم حسن عاشور

كان مقدراً لهذا الكتاب أن يصدر إثر أحداث المجزرة الرهيبة داخل الحرم الإبراهيمى والتى راح ضحيتها أكثر من ستين قتيلاً وما يقارب المائة جريح من خيرة الشباب الفلسطينى الذين يحرصون على أداء صلاة الفجر فى المسجد الكبير .

ولقد خطط المجرمون للمجزرة بحيث يضع المجرمون أيديهم على الزناد عندما يأخذ المصلون وضعهم رُكّعاً سُجّداً خاشعين .

ولكن الكتاب لم يصدر حينئذ .. أما لماذا لم يصدر .. فأرجو أن يعفينا القراء من الإجابة على هذا السؤال .. فإن الإجابة ستكون مريرة وقاسية .. حيث تعيش الأمة العربية والإسلامية فى مناخ لا يسمح لها بالتحرك الجاد تجاه الأحداث الجسام ، ولا بالتصرف الفاعل أمام التحديات الصارخة والمستفزة .. ليس لكل العرب فى المنطقة .. ولكن لكل المسلمين فى أنحاء العالم !! .

إن مجزرة الحرم الإبراهيمى لم تكن الأولى فى سجل أولاد الأفاعى وشراذمة الأرض وأبناء القردة والخنازير .. ولن تكون الأخيرة فى الصراع الدائر الآن بين أصحاب الأرض الحقيقيين من الفلسطينيين وبين الغاصب المحتل المدعوم بالقوى العظمى .. لا فرق فى ذلك بين الشرق الملحد

والغرب الحاقد ، وأمام مواقف عربية وإسلامية اتسمت بالخزى والعار ، والدّعة والضعف ، والاستكانة والاستخزاء !! .

ولقد بلغت المهانة بالعرب والمسلمين حداً جعل أمريكا بعد المجزرة تصر على إرغام العرب على مواصلة المفاوضات ، والجلوس على مائدة واحدة تضم الأطراف العربية المسالمة أمام أطراف العدو الصهيونى المعتدى بحجة أن أمريكا أدانت المذبحة .. ولو أن أمريكا كانت جادة فى إدانتها للمذبحة لما بذلت قصارى جهدها فى سلسلة اتصالاتها الجانبية لتأجيل قرار الإدانة ـ الذى أعدته الأمم المتحدة ـ لمدة أسبوعين مما جعلها شريكاً فعالاً فى الجريمة غير المسبوقة بدل أن تكون عامل تهدئة يساعد فى اتخاذ قرار يضمن حماية الفلسطينيين ويكبح جماح المستوطنين المسلحين !! .

لقد سبق هذه المذبحة من قبل مذابح مماثلة فى دير يس ، وكفر قاسم .. وغيرهما .. ورغم أن « مذبحة دير يس » قد أتت على أهل البلدة بأكملها فلم تُبْق على طفل أو كهل ، أو فتاة أو عجوز .. رغم ذلك فإن صداها لم يبلغ ما بلغه صدى « مجزرة » الحرم الإبراهيمى .. ليس عربياً ولا إسلامياً .. ولكن عالمياً .. فإن العرب والمسلمين بغثائهم المعروف لم يشكلوا صفراً على اليسار بين الرأى العام العالمى الذى استنكرت جماهيره المذبحة فى مظاهرات « جادة » اخترقت شوارع واشنطن .. وبون .. ولندن .. وباريس .. وغيرها من دول العالم .. فضلاً عن التغطية الكاملة بالصوت والصورة والكلمة المنشورة لشبكات الإذاعة والتليفزيون ، والصحافة ، ووكالات الأنباء التى طيّرت الخبر مقروناً بالتعليقات السياسية ، والاستنفار الإنسانى !!

أما منظمة المؤتمر الإسلامى فإن أعضاءها قد اجتمعوا ثم انفضوا

دون أن يخرجوا كعادتهم بقرار حاسم يعبر عن أكثر من ألف مليون مسلم يمكن أن يفرضوا رأيهم على المجتمع الدولي .. أو « النظام العالمى الجديد » الذى تعددت جرائمه تجاه الشعوب المظلومة ، واستشرى خطره ضد الأحرار ، واتسعت دائرة تسلطه عبر زعامات كرتونية فاشلة ، وقيادات عسكرية متآمرة ، ورؤساء ألهاهم المنصب ، وأسكرهم الحكم ، فأذلوا شعوبهم واسترهبوهم ، وأماتوا فيهم النخوة ، وقتلوا فيهم العزة ، وشغلوهم بالعمل والوظيفة ، وجعلوهم يلهثون وراء قضية واحدة .. هى « قضية الرزق » التى تتمثل فى كسرة الخبز .. وقطعة الجبن .. وشريحة اللحم .. فنسوا مهامهم الوطنية ، وحقوقهم السياسية ليقتصر سعيهم على المسجد فقط ، وينحصر نظرهم فى صفحات المصحف .. فلا سياسة مع الدين .. ولا دين مع السياسة .. كما كان يقول السادات !!!

* * *

ثم يأتى دور الجامعة العربية الموقرة التى عاد مقرها إلى القاهرة من جديد .. قاهرة المعز .. أو قلب العروبة .. أو بلد الأزهر .. أو مزرعة الألف مئذنة .. أو ملجأ الأحرار ومركز الثوار .. أما هذه الجامعة العريقة .. فلقد كانت هى الأخرى منطلقة اللسان تردد عبارات الأسى ، وتصدر بيانات الاستنكار .. ولكنها مشلولة الحركة ، مكسورة الجناح ، عديمة التأثير .. رغم أن دولها تملك من الثروة البشرية .. والأفكار العلمية .. والحقول النفطية .. والكنوز الأرضية ما لو سُخِّرت بتخطيط علمى ، وتدبير ذكى تتجرد فيه الزعامات من الغرض ، وتتخلص فيه القيادات من المآرب فلا تعتمد فيه على شرق أو غرب .. لا تطلب العزة إلا من الله ، ولا تستمد القوة إلا منه سبحانه .. لو حدث هذا لفعلت الأفاعيل ، ولأرهبت الشياطين .. ألا إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

بقي موقف « الأزهر الشريف » و« دار الإفتاء » وقد اكتفيا بالاستنكار الإعلامي المهذب الذى يتفق مع مبادئ الإسلام السمحة ، وآدابه السامية ، ويتناسق مع حُسْنِ الجوار .. إلى جانب « دعاء القنوت » فى كل الصلوات ، ثم دعوة المسلمين إلى « صلاة الغائب » على شهداء المذبحة الذين استشهدوا فى فجر رمضان وهم عُزّلٌ من السلاح ، لا يملكون الدفاع أو المقاومة .. بل استشهدوا وهم رُكّعٌ سجود يؤدون صلاة الفجر قبيل ذكرى غزوة بدر الكبرى بيوم واحد فقط .. وحسبنا الله ونعم الوكيل !! .

إن إسرائيل من أجل اختطاف جندى واحد فقط أبعدت ما يقرب من خمسمائة مواطن فلسطينى من أنشط شباب حماس ، ومن أبرز رجال التعليم ، وأساتذة الجامعات ، وجمهرة كبيرة من الخبراء والعلماء ألقت بهم فى العراء تحاصرهم الثلوج ، ويلفحهم البرد القارص بلا رعاية ولا حماية ، وبلا ماء ولا غذاء ولا دواء .. حتى أن لبنان التى هى طرف فى لعبة المفاوضات ، وممثل قدير فى مسرحية مدريد قد رفضت أن تستقبلهم وهم على أرض لبنانية دون أدنى اهتمام حتى بالجانب الإنسانى الذى (يطعمهم من جوع) ، (ويرويهم من عطش) ، (ويكسوهم من عرى) ، (ويؤمّنهم من خوف) ليظلوا على هذه الحال ما يقارب العام لولا نجدة البدو والأعراب الذين كانوا يتنازلون عن بعض أقواتهم الضرورية لإنقاذ خمسمائة من البشر شحنوهم داخل اللوارى ليجدوا أنفسهم فجأة فى الصحراء .

خمسمائة رجل من خيرة رجال الشعب الفلسطينى المسلم ترميهم إسرائيل فى العراء .. فى صقيع البرد والثلوج والشتاء .. يفترشون الأرض ويلتحفون السماء .. فلا تتحرك منظمة المؤتمر الإسلامى ، ولا تنتفض

الجامعة العربية ، ولا تتدخل الأمم المتحدة ، ولا تملك الشعوب العربية والإسلامية من حرية الحركة ما تستطيع به حتى أن ترفع صوتها بالاحتجاج .. و الاستنكار !! .

هذا هو حال الجامعة العربية فى تاريخها الطويل .. منذ إنشائها .. بدءا بعبد الرحمن عزام .. ومروراً بعبد الخالق حسونة ومحمود رياض .. وانتهاء بعصمت عبد المجيد .. لقد بلغت قراراتها خلال هذه الحقبة أكثر من مائة قرار ذهبت كلها أدراج الرياح .. فليس لقرار واحد فيها قوة التأثير أو الفاعلية .. وإلا فخبرونى .. ماذا فعلت الجامعة العربية لأطول قضية فى التاريخ .. وهى القضية الفلسطينية .. شعب يطرد من أرضه ، ويخرج من ماله ، ويجبر على بيع عقاره ، لتحل محله عصابات الشتات ، وشراذمة الناس ، ويُغْتَصَبُ مسجده الأقصى وقدسه الشريف ، بين سمع العالم وبصره فلا نستنصر إلا الغرب ، ولا نتعلق إلا بالسراب .. ثم تنتهى الجريمة ببعض المعاهدات الهشة التى مزقت الأسرة العربية الواحدة لتنفرد إسرائيل بكل دولة على حدة ، تفرض عليها إرادتها ، وتملى عليها شروطها ، فتتفاوض مع هذا علناً فى مدريد .. ومع ذاك سراً فى أوسلو .. وبين السر والعلن تأتى المفاجآت ، وتضطرب الكيانات، وتتعدد الخيانات ، ويختلط الجد بالهزل ، ونصبح نحن الأمة التى تضحك من جهلها الأمم !! .

ولقد وصل الأمر فى النهاية إلى إقصاء كل طرف من الأطراف العربية عن الآخر .. إذ أن الفلسطينيين لا يستطيعون وحدهم بصفة موضوعية أن يتحملوا ثقل المفاوض الإسرائيلى العنيد الذى يتمتع بأكثر من رأى ، ويحتفظ بأكثر من ورقة .. إنها مأساة الفرقة ، وغيبة التنسيق التى تجعل الصهاينة يجزئون القضايا ، ويخترقون الأزمات لتتحول

الكيانات إلى كتل يضرب بعضها رقاب بعض بالوكالة عنها .. في حين يعد المجرمون « الخطط الجاهزة » .. « والخطط البديلة » التى ترمى إلى الإجهاز على هذه الأمة اقتصادياً وعسكرياً وثقافياً وحضارياً .. وأيضاً تصفيتها جسدياً .

***

وماذا صنعت الجامعة العربية تجاه العراق الذى سطا على دولة عربية شقيقة هى الكويت ليغزوها بليل ، ويحتل أرضها بظلم ، ويتصدى للمدافعين عنها من أهلها بكل ما يملك من « سلاح » كان قد أُنفق عليه من خزائنها وخزائن شقيقاتها .. لقد اعتدى السفاح المجرم على الكويت ليسلبها حريتها ، وينكل بأهلها ، ويُهَرِّب ثروتها وكنوزها .. بل ومخزون أسلحتها إلى بغداد .. لقد اعتدى الطاغية الباغى على الكويت وهى عضو بارز فى الجامعة العربية .. وعضو بارز فى الأمم المتحدة .. وعضو بارز وفعال فى كل المنظمات الدولية ، يدلى بدلوه فى كل القضايا ، وينفق من ماله في الإنماء العربى ، ويسهم من دخله فى كل المشاريع الإسلامية ، ويمول من ثروته كل حركة تراثية أو علمية أو ثقافية .. تشهد بذلك كل الدوائر العلمية والثقافية فى أنحاء العالم .. ماذا فعلت الجامعة العربية تجاه صدام وعصابته .. لقد وقف (طه يس رمضان) نائب السفاح العراقى يسب الكويت بأقذع الألفاظ ، ويكيل لها الاتهامات فى صحن الجامعة العربية بالقاهرة .. لماذا ؟؟ لأن الكويت لم تقبل أن تكون على طول الخط المصرف العام لكل نزوات العراق .. ولأن الكويت لم تقبل أن تكون مدى الدهر البقرة الحلوب لطغمة بغداد .. ولأن الكويت لم تقبل أن تكون على مر الزمان الحساب المفتوح لطلبات السفاح المستمرة التى يمول بها مشاريعه الحزبية ،

ومغامراته السياسية ، ونفقاته العسكرية .. لقد ظل طه يس رمضان ذلك البعثى القمئ يضرب المائدة بقبضة يده وهو يهذى بكل ما فى قاموس الشتائم من عبارات متحدياً الجامعة العربية بأقطابها ، وشعوبها ، رافضاً أن يجلو جيش العراق عن الكويت ، زاعماً بأن الكويت هى إحدى محافظات العراق ، ضارباً عرض الحائط بكل القيم العربية ، والأعراف الإسلامية فى وقاحة وبذاءة لم يعرف العرب لهما مثيلاً فى طول التاريخ وعرضه .

وها قد مرّ على غزو العراق للكويت أكثر من ثلاثة أعوام وما زال بلطجى العراق جالساً على عرشه لا يريد أن يعترف بترسيم الحدود .. ولا يريد أن يفرج عن أسرى الحرب .. ولا يريد أن يرد ما سلبه من خزائن وذهب وثروات .. ليس ذلك فقط .. ولكنه ما زال يعلن حتى كتابة هذه السطور أن الكويت هى جزء من الأرض العراقية ، وأن الوقت المناسب لتأديب الكويت لم يحن بعد !! .

وما حدث للكويت من غزو على يد نظام فاجر لا يرعوى بزعامة حاكم متسلط يجثم على صدر شعبه اسمه « صدام » حدث أيضاً لليمن على يد نظام غادر لا يخشى فى الله إلاً ولا ذمة ، ولا يقر بعروبة ولا إسلام بزعامة حاكم مستبد لا يؤمن بديمقراطية ، ولا بحياة نيابية اسمه « جمال » .. وما مارسه النظام الأول فى الكويت مارسه النظام الثانى فى اليمن من قتل وتشريد ، وعربدة واحتلال ، وظل عبد الناصر يستنزف اقتصاد مصر ، ويفرغ خزائنها ، ويصفى ثرواتها ، ويرمى بجيشه العربى المسلم فى معركة لا ناقة له فيها ولا جمل حتى بلغت نفقات الحرب فى اليمن ما يقارب الثلاثة ملايين جنيه مصرى فى كل صباح .. يوم أن كان الجنيه المصرى يساوى الآن مائة جنيه ، فتحول اقتصاد

مصر من اقتصاد حر إلى اقتصاد حرب ، وتحول إنتاج مصانعها إلى إنتاج ميدان ، وتحولت كل أساطيل النقل البرى والبحرى والجوى إلى المجهود الحربى .. حتى السيارات المدنية (النقل والملاكى) تحولت إلى خدمة المعركة .. وكانت النتيجة أن انهزم العسكرى الشقى فى اليمن السعيد مُخلّفاً وراءه خمسة وخمسين ألف رأس شهيد من صفوة شباب المصريين قُدِّمَتْ على طبق من ذهب هدية إلى الشعب اليمنى بعد أن تحولت أرض اليمن الطاهرة إلى بحار من الدماء ، وطرقاتها إلى أهرامات من الجثث البريئة .. وخسىء شيطان بنى مر ، وعاد إلى مصر بالهزيمة والعار .. ولولا مؤتمر الخرطوم الذى أنقذ الموقف المصرى .. ولولا الملك فيصل الذى امتص الغضب ، وداوى الجراح ، وصافح اليد الملوثة بدماء الأبرياء .. ليس من أجل عبد الناصر .. ولا من أجل عصابته الحاكمة .. ولكن من أجل مصر .. فكان صنيعاً عربياً مشكوراً ، وموقفاً بطولياً محموداً يذكر للملك السعودى يحمده له شعب مصر على مدى الدهور والأزمان .

* * *

هذه هى مشكلة اليمن القديمة .. أما مشكلة اليمن الجديدة فبعد أن باركت الجامعة العربية « الوحدة » بين الشمال والجنوب إذا بالجناح اليسارى فى منظومة الحكم اليمنى يثير المشاكل ، ويضع العراقيل ، ويتمرد على الوحدة من جديد بعد أن دخل إليها طائعاً مختاراً دون ضغط أو تأثير .. ثم ما لبث أن طالب بالانفصال .. وبدل أن تعمل الجامعة جاهدة للحفاظ على الوحدة لَمّاً للشمل ، ورأباً للصدع ، وتجميعاً للجهد ، وتوحيداً للصف .. إذا ببعض رموزها البارزة ينحاز إلى طرف دون طرف متذرعاً بأن الوحدة لا يمكن أن تتم بقوة السلاح ..

وكأن أطراف الوحدة من شمال وجنوب كانوا يعبثون ويلهون عندما وقّعوا على الوحدة التى لا يغلبها غلاب ، ولا يرتاب فيها مرتاب ، ولا يشكك فيها إلا كذاب .. واصطكت السيوف ، والتحمت الجيوش ، وتعارك الإخوة ، وسالت دماء الأبرياء ، ودمرت المنشآت ، وتعطلت المرافق ، وأصيب الاقتصاد اليمنى فى مقتل .. ثم أراد الله عز وجل للوحدة أن تنتصر .. لأن هذه هى إرادة الشعب اليمنى المسلم .. وإرادة المسلم مستمدة من قوة الله عز وجل ، وقوة الله تعالى لا تقهر .. وهو القاهر فوق عباده .

* * *

وماذا فعلت الجامعة العربية لمشكلة الصحراء بين المغرب من جانب .. وموريتانيا والجزائر من جانب آخر .. فالجزائر تؤيد « البوليساريو» ضد المغرب .. والمغرب تحارب فى جبهتين .. والمشكلة ما زالت قائمة .. والضحايا من الطرفين .. والأمل معقود على الاستفتاء .. والاستفتاء تحدد موعده أكثر من مرة .. هل تنضم الصحراء لموريتانيا .. أم للمغرب .. والجامعة العربية فى واد .. والمشكلة فى واد آخر .. وماذا تفعل الجامعة العربية وقد تعددت المشاكل ، واتسع الخرق على الراقع .. والراقع لا يملك من أمره شيئاً .. إذن فلتترك الجامعة الأمر لطاولة المفاوضات المحلية .. فإذا تعثرت المفاوضات، وتأزمت المنازعات ولم يكن هناك من حل سوى الاشتباك المسلح فلا بأس .. وعندها يمكن للجامعة العربية أن تبحث عن حل .. وهكذا دواليك .

* * *

تلك نماذج من القضايا العربية التى طرحت داخل أروقة الجامعة وكان نصيبها الإحباط الذى أصاب الشعوب العربية .. تلك الشعوب

التى سُلِبَتْ إرادتها على الساحة ، وقيدت حركتها على أرض الواقع ، فكان نصيبها الضياع، وحظها الشتات نتيجة طبيعية لخلافات قادتها ، ونزاع زعمائها .. ومن المعروف تاريخياً أن الزعامات والقيادات لا تتأثر بالنتائج .. فالشعوب هى الخاسرة .. والطبقات الكادحة هى المتأثرة .. والعبيد هم العبيد .. والجنود هم الوقود !! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

* * *

هذا هو موقف الجامعة العربية من بعض قضايانا المطروحة على جدول أعمالها .

أما موقف منظمة التحرير من قرار مجلس الأمن الذى يحمل رقم ٩٠٤ وهو الخاص بمذبحة الحرم الإبراهيمى رغم ضعف الطابع الإجرامى للقرار ، ورغم أن المذبحة فى عرف الوطنيين الأحرار تعتبر كارثة كبرى يمكن أن توقف كل المفاوضات الجارية بين الإسرائيليين وبين المفاوضين العرب ..

* * *

ومذبحة الحرم الإبراهيمى هى جزء من مخطط رهيب يستهدف إفراغ الأرض الفلسطينية من أهلها « الحقيقيين » حتى تصبح خالصة لبنى يهود ..

وهذه المذبحة تطرح أسئلة كثيرة تتجاوز فى خطورتها عشرات القتلى والجرحى الذين سقطوا برصاص اليهود كما يقول الأستاذ الدكتور (عبد الله بن بيه) الوزير الموريتانى السابق وعضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز .. هذه المجزرة أيضاً تتجاوز حماية مليونين من العرب المسلمين فى الأراضى المحتلة مهددين بالإبادة والإفناء

بالتقسيط على أحسن تقدير .. هذه المجزرة كذلك تتجاوز إشكالية نزع سلاح المستوطنين الذين هم جميعاً (مجانين) بمعيار جنون (جولدشتاين) .. تلك هى بعض الأسئلة التى برزت على الساحة .. إلا أن أسئلة أخرى تقفز إلى الذهن وتتسابق إلى الشفاه هى فى رأينا أخطر بكثير وأعمق من هذه الأسئلة .. وهى فى احتمالاتها لا تقل أهمية عما وقع وجرى يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٤١٤هـ .

وصدق الوزير الموريتانى .. أليست إسرائيل مجهزة بأسلحة نووية لا يملكها العرب والمسلمون ؟!! .

أليست إسرائيل دولة (مجنونة) بمعيار معين من معايير الجنون التى أصابت بعض الذين يديرون دفة الحكم ، ويتحكمون فى « الترسانة النووية » ؟!!

أليست الأمة العربية والإسلامية تقف عزلاء لا تعتمد إلا على حسن النوايا) الإسرائيلية المفترض .. أو حسن نوايا حلفائها الذى لا يرقى كثيراً عن الافتراض ؟!! .

إنها أسئلة كبرى يجب أن تطرح قبل أن تحل الكارثة بالأمة العربية والإسلامية .. لكن الأمر لا يتعلق بطرح السؤال بقدر ما يتعلق بالبحث عن الجواب الصحيح الذى يقبله العقل والمنطق السليم .. إن الأجوبة الوهمية التى تعتمد على مقدمات فاسدة مغالطة لن تكون نتائجها إلا كذلك .. وهى مقدمات من نوعية « دور الأمم المتحدة » و « النظام العالمى الجديد » و « القوى العظمى » حامية السلام ، وراعية المؤتمرات وحقوق الإنسان .

هل كلهم مجانين ؟!!!

وإذا كان الإرهابى القبيح (مائيركاهانا) مجنوناً .. وإذا كان الذى أحرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م مجنوناً .. وإذا كان الطبيب الإرهابى الذى قتل ستين شهيداً وجرح أكثر من تسعين جريحاً فى الحرم الإبراهيمى وهم يصلون الفجر مجنوناً .. والجيش الإسرائيلى الذى يطلق النار جزافاً على كل من يشتبه فيه مجنوناً .. وقوات الأمن التى شاركت فى مجزرة الخليل .. والحكومة الإسرائيلية التى تحمى الإرهاب وتفرج عن القتلة وتسلح المستوطنين فى الشوارع والمصالح ودواوين الوزارات ، ووسائل المواصلات .. إذا كان كل هؤلاء مجموعة من المجانين فهل من ضمان للأمة العربية والإسلامية يحميها من جنون المجانين ؟!! .

إن منظمة (كاخ) التى كان (باروخ جولدشتاين) [منفذ المذبحة] عضواً بارزاً فيها هى حركة عنصرية حافلة بالإرهاب منذ إنشائها .. وليس ذلك مجهولاً لأحد .. وهذه الحركة أو هذه المنظمة تحظى بالدعم والتأييد ، وتتلقى الضوء الأخضر من كل الحكومات الإسرائيلية من حمائم وصقور على حَدٍّ سواء وأولها حكومات (حزب العمل) الذى اعتاد أن يدين أعمالها الإرهابية .. فقط فى التصريحات الصحفية والخطب السياسية !! .

ولعل المقابلة الأخيرة التى تمت بين جولدشتاين قبل مذبحة الحرم الإبراهيمى بأيام قلائل وبين الصحفى الأمريكى (توم روبارتس) تقدم فكرة واضحة عن تفكير ما يسمونه بالأصوليين الجدد .. ففى معرض حديث « جولدشتاين » عن العرب وعن طريقة التعامل معهم أكد الإرهابى الطبيب فى جدية صارمة هذه العبارات :

« هناك وقت للكشف والعلاج فى العيادة (١) ..

---

(١) من المعروف أن المجرم السفاح جولد شتاين كان يملك كطبيب عيادة فى مستعمرة كريات أربع بالخليل .

وهناك وقت للقتل .. وهما متلازمان .. ونحن لن نترك الخليل مهما يكن من أمر .. إننا نغش أنفسنا عندما نفكر بإمكانية التعايش مع العرب .. إنه غير ممكن .. إنهم وباء ومرض .. والجيش الإسرائيلى يخطىء عندما يحول بيننا وبين الانتقام منهم ، وعندما يمنعنا من تخويفهم .. لا بد وأن نطردهم .. إنهم نازيو اليوم ... » !!!

● **وأكثر ما يعبر عن التفكير الصهيونى .. أو ما يطلق عليه [التفكير الأصولى] هو ردة فعل المستوطنين فى مستوطنة (كريات أربع) حيث مسكن الإرهابى الصهيونى السفاح جولدشتاين وعائلته بالقرب من والديه ..**

● **أكثر ما يعبر عن هذا التفكير أنه (رمز وبطل) أى جولدشتاين.**

● **كذلك أكد المستوطن (تيرن فولك) أن المجزرة (عمل عظيم ومهم) .**

* * *

● **وأشار (أمنون تيدمور) الذى يصف نفسه بأنه معتدل .. أشار إلى أن عملية الخليل ستدعم عملية السلام !! .**

* * *

● **وصاح (أريى بن يوسف) أمام التليفزيون الإسرائيلى يصف المجزرة : إنها هدية أرسلت لنا فى عيد البوريم[1] !! .**

---

(١) عيد البوريم هو يوم الانتقام من العرب .. لا يمكن أن يمر هذا اليوم إلا ويكون اليهود قد ارتكبوا عدة جرائم ضد العرب لا تقل عن القتل العاجل .. أو على الأقل : القتل البطىء .

● وأما المتحدث الرسمى باسم حركة كاخ (نرعام فيدرمان) فقد قال : نطأطئ رؤوسنا أمام القديس البطل الدكتور باروخ جولدشتاين !!

* * *

● والكثيرون ممن لم يعرفوا جولدشتاين وليسوا أعضاء فى حركته أشاروا إلى أنهم يتفهمون مشاعر جولدشتاين الذى أسمته المتحدثة باسم التنظيم فى الولايات المتحدة (باربارة جنيز بورج) أسمته (الشهيد) !!

* * *

● ليس ذلك فقط .. ولكن منذ مذبحة الخليل فإن المئات من مستوطنى الأرض المحتلة يزورون قبر الإرهابى جولدشتاين فى مستوطنة كريات أربع .

موقف أمريكا المفضوح :

وفى أعقاب المجزرة المروعة سارعت القيادة الإسرائيلية إلى التنديد بالهجوم وتأمين الضحايا الفلسطينيين الأبرياء [كلمة الأبرياء وردت ضمن عبارات التأبين] .. وبعد ساعات قليلة كان موظفو البيت الأبيض فى واشنطون يصوغون بياناً يكاد يكون نسخة طبق الأصل من التنديد الإسرائيلى لكى يقرأه الرئيس كلينتون على شاشات التليفزيون الأمريكية .. وليس أدل على ذلك من الموقف الأمريكى الواضح الذى كان وراء تأجيل صدور قرار مجلس الأمن الذى أدان المجزرة بعد أكثر من أسبوعين كما ذكرنا من قبل .. ورغم أن قرار مجلس الأمن كان قراراً هشاً متخاذلاً لا يتناسب مع بشاعة المجزرة البشرية فى ساحة الحرم الإبراهيمى .. فضلاً عن أنه غير ملزم .. ورغم أن قرار الإدانة قد صدر

بما يشبه الإجماع .. إلا أن أمريكا قد امتنعت عن التصويت تحديداً على مطالبة مجلس الأمن لإسرائيل بالعمل على توفير الحماية والأمن للشعب الفلسطينى [يعنى أمريكا لا توافق صراحة على طلب توفير الحماية والأمن للشعب الفلسطينى] كذلك امتنعت أمريكا عن التصويت أيضاً على الفقرة التى يؤكد فيها مجلس الأمن على قراراته السابقة بوضع القدس .

ومن العجب العجاب أنه فى الوقت الذى انتقدت فيه الجامعة العربية قرار مجلس الأمن الذى لا يضيف جديداً إلى قراراته السابقة .. تلك القرارات التى لا تهز شعرة واحدة فى رأس إسرائيل مشاركة بذلك المجتمع الدولى الذى هزته الفجيعة وصدمته المذبحة .. فى هذا الوقت بالذات تخرج علينا منظمة التحرير الفلسطينية لترحب بقرار مجلس الأمن على تفاهته وعدم إيجابيته ، ولتعلن أن قرار مجلس الأمن خطوة إيجابية تفتح الطريق أمام استئناف المفاوضات .

كما صرح (سمير غوشة) عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بأن القيادة الفلسطينية ستجتمع على الفور لتبحث فى قرار استئناف المفاوضات !! [رغم بشاعة المجزرة] .

غير أن (حركة حماس الإسلامية) رفضت هذا القرار واعتبرته (قاصراً وناقصاً) ثم أعربت عن خيبة الأمل من موقف الأطراف العربية بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية التى تلهث وراء المفاوضات برغم المجزرة التى خلّفت وراءها أكثر من مائة وخمسين ضحية .. ما بين قتيل وجريح !! .

وفى أول رد فعل للحركة الإسلامية على القرار قال : (إبراهيم غوشة) المتحدث الرسمى باسم الحركة الإسلامة حماس التى تعارض مفاوضات السلام :

إن قـرار مـجلس الأمن لا يعـبـر عن مـوقف الحق والعـدل .. ولا يتـصدى للظلم الذى وقع على الشعب الفلسطينى من خلال مـجزرة الخليل والذى جاء منسجماً مع الموقف الصهيونى الأمريكى تماماً .. كما لفت إبراهيم غوشة الانتباه إلى أن القرار لم يحدد مسببى المجزرة من مستوطنين وقوات احتلال .. كـما خلا القرار تماماً من إدانة الكيان الصهيونى للمجزرة .. كذلك لم يَدْع القرار إلى تفكيك المستوطنات ، ثم تجاهـل الفـاعل الحقـيـقى المتمـثل فى النظام الإسـرائيلى بصـقـوره وحمائمه .. حيث ثبت بما لا يدع مجالاً للشك بأن الشرطة الإسرائيلية وبعض أفراد الجيش الإسرائيلى قد شاركا مشاركة فعلية فى المجزرة .. وإلا فكيف يستطيع المجرم السفاح جولدشتاين أن يصوب وحده الرصاص إلى مائة وخمسين ضحية لقى حتفه منهم ما يقارب الستين بريئاً وأكثر من تسعين من الجرحى .. فضلاً عن الطلقات الطائشة التى قد يصل عددها إلى مثل هـذا الرقم » !! .

تضارب التصريحات فى أقوال الشهود :

ولقد أظهـرت استطلاعـات لجنة التـحقـيق وجـود تضـارب فى تصـريحـات الجنود الذين كـانوا داخل سـاحـة الحـرم الإبراهيـمى ، وتصـريحـات كـبار الضبـاط .. إذ أكـد جنديان أنه كـان لجـولدشتـاين شركاء .. خلافاً للتصريحات الرسمية التى تصر على أن جولدشتاين تصرف وحده دون شركاء .. ثم أظهرت هذه الاستطلاعات من جهة أخـرى أن لدى الجيش الإسـرائيلى أوامـر صـريحـة بعـدم التـعـرض للمسـتوطنين حتى ولو كانوا يطلقـون النار على الفلسـطينيين .. وعـلاوة على ذلك كـان مـجموعة من الجنود وحرس الحدود المكلفين بحراسة الحرم نائمين .. ولولا أن وزير العدل الإسرائيلى (ديفيد لبعى) قد أصر

على تشكيل لجنة تحقيق لما شُكلت هذه اللجنة حيث كان إسحاق رابين رئيس الوزراء يصر على عدم تشكيل لجنة تحقيق رغبة منه فى عدم (نشر غسيل الجيش الإسرائيلى القذر) هل يشك منصف بعد ذلك أن قوات الجيش قد شاركت جولدشتاين فى جريمته التاريخية الشنعاء ؟!! .

لقد اعترف الحارس الأمنى (موتى أونجر) أمام لجنة التحقيق أنه أوصل جولدشتاين فى سيارته إلى الحرم الإبراهيمى قبل ارتكابه المذبحة ، كما شهد أيضاً بأن جولدشتاين كان فى حالة طبيعية ، وأنه لم يقل شيئاً غير عادى .. غير أن آراءه التى كان يرددها لم تكن معتدلة .. ويمكن القول بأنه كان لا يحب العرب .. كما أضاف الحارس الأمنى الإسرائيلى قوله :

« إن جولدشتاين طلب منى إيصال مفاتيح صندوق البريد إلى منزله .. ولكننى لم أظن أن هذا شىء غير عادى لأنى اعتقدت أن جولدشتاين الذى كان يرتدى الزى العسكرى ذاهب إلى مهمة فى قوات الاحتياط » [يعنى جولد شتاين كان مجنداً فى قوات الاحتياط] !! .

وعندما أعاد أونجر المفاتيح إلى منزل جولدشتاين سألته زوجته [زوجة جولدشتاين] عن مكانه فأبلغها أونجر بأنه يصلى فى الحرم الإبراهيمى .

هذه بعض اعترافات المستوطنين والجنود وحراس الأمن الإسرائيليين أمام لجنة التحقيق التى كان أحد أعضائها (عبد الرحمن الزغبى) القاضى العربى الوحيد فى لجنة التحقيق المشكلة .

أما رئيس الأركان الإسرائيلى الجنرال (إيهود باراك) الذى مَثَلَ أمام لجنة التحقيق فى المجزرة فقد ذكرت مصادر قضائية أنه قد استدعى للتحقيق معه مرة أخرى أمام اللجنة لسؤاله عن حقيقة الأوامر المعطاة

للجيش بشأن إطلاق النار على كل من « المستوطنين » و« الفلسطينيين » موضحة أن الجزء الأول من شهادته تم فى جلسة مغلقة .. كما ذكرت جريدة (بديعوت أحرنوت) أن الجنرال باراك سيوضح إن كانت الأجهزة الأمنية الداخلية (شيت بيت) قد حذرت الجيش الإسرائيلى من إمكان حصول اعتداءات ضد الفلسطينيين من مستوطنين متطرفين فى الوقت الذى أعلنت فيه حركة (السلام الآن) المعتدلة أن (السلام والاستيطان) لا يتوافقان ، وأنه سيكون من المستحيل أن يتعايش العرب والمستوطنون تحت سقف واحد !! .

هل كان بالإمكان تدارك الموقف :

من المعروف أن إسرائيل فى تعاملها مع العرب فإنها تتجاهل كل قوانين حقوق الإنسان ، وتغض الطرف عن كل لوائح السجون والمعتقلات ومراكز التحقيق ، وتضرب عرض الحائط بكل الأعراف الإنسانية .. وقد بدا ذلك واضحاً فى المجزرة البشرية الكبرى فى الحرم الإبراهيمى التى تركوا فيها الجرحى تنزف جراحهم ، وتُصفى دماؤهم دون المبادرة إلى اتخاذ أى إجراء من إجراءات الإسعاف مما ترتب عليه زيادة عدد القتلى بين صفوف الجرحى ، وجعل منظمة (أطباء العالم) أو (أطباء بلا حدود) الإنسانية تصرح بأنه كان فى إمكان السلطات الإسرائيلية المحتلة أن تتدارك الموقف ، وأن تتخذ من التدابير ما يمكن أن يسعف الجرحى ، وأنه كان فى إمكان هذه السلطات إنقاذ حياة عدد كبير من ضحايا المذبحة لو أسعفوا فى الوقت المناسب ، وأن النقص الكبير فى إسعافات الطوارئ قد أدى إلى وفاة عدد كبير من الضحايا فى مكان الصلاة ، وأنه لم يتم إرسال أى إسعافات أولية عاجلة إلى مكان الجريمة بسبب إغلاق الجيش الإسرائيلى لكل منافذ الحرم الإبراهيمى وكل مداخله وأبوابه !! .

وبعد ...

فلقد وقعت مجزرة الحرم الإبراهيمى إبان حماس مفاوضات الحكم الذاتى ، ورفع شعارات السلام .. فإسحاق رابين يلوح بالسلام .. وياسر عرفات يرفع غصن الزيتون .. وكريستوفر يُمنّى الفلسطينيين بالدعم والمساعدة وتخفيف الأعباء .. وحسنى مبارك يواصل جهوده ومساعيه الحميدة .. لتحقيق السلام .. ووسط كل هذه الاستعدادات يرتكب جولدشتاين جريمته الشنعاء فيقتل ستين ضحية وهم يؤدون صلاة الفجر فى رمضان !! .

هل من الممكن بعد ذلك أن يتعامل العرب والمسلمون مع عدو شرس بلغة الكلام .. وهذا العدو يتعامل معهم بلغة الرصاص .. وهيهات أن يُسْكتَ الكلام صوت الرصاص .. هل يجوز لأمة تجاوز عددها الألف مليون أن تستنجد بالعالم وتستصرخه من شرور واعتداءات شراذم إرهابية لا يتجاوز عددها ثلاثة ملايين .. يعنى : مليون أمام كل ثلاثمائة مليون ؟!!

إن مذبحة الحرم الإبراهيمى كما يقول الكاتب الصحفى فهمى هويدى : لم تستثمر سياسياً أو إعلامياً كما كنا نتوقع ممن بيدهم الأمر والنهى الذين يرفعون لواء السلام ، ويستعجلون قضية التطبيع ، حتى تتكشف الطبيعة العدوانية لبنى يهود .. ولكن على العكس من ذلك فقد سعى البعض لتجميل الصورة الإسرائيلية فى الإدراك العام إلى الحد الذى يهتك الذاكرة العربية ويمهد لاغتيالها .

***

أطفال الحجارة نجحوا فيما فشل فيه « الجنرالات » وفصائل المنظمات !!

فماذا يمكن أن يفعل العرب مع هذه الممارسات الإسرائيلية الإجرامية التى لا تخف حدتها إلا لتبدأ من جديد .. هل نبكى على الأطلال كما يقول عرفان نظام الدين .أو نندب الحاضر .. أو نرتجف من أهوال المستقبل وكأن تاريخ الأمم محطة واحدة يسقط فيها من يسقط ثم ينتهى .. أو أنها معركة واحدة ما إن ننهزم فيها حتى نستسلم ونضيع فى متاهات اليأس لا حول لنا ولا قوة .. ولا أمل لنا ولا حاضر ولا مستقبل ..

إن الجندى العربى المسلم لم يحارب بعد .. ولم تمتحن شجاعته وقدراته من قبل .. لأنه أخذ غدراً وخيانة .. غدراً من العدو الأصلى الجبان .. وخيانة من قياداته المتعاقبة على مر السنين منذ ٤٨ وحتى سلسلة اتفاقيات السلام المغشوش .. ومع ذلك فإن المثال الحى والمضىء يبقى متجسداً فى الانتفاضة المباركة .. متجسداً فى وجوه أطفال الحجارة الذين حققوا ما فشل فيه كل جنرالات وفصائل الفلسطينيين من «عشاق المنظمات » الذين كانوا يحاربون إسرائيل من قصورهم الفاخرة ، ويصدرون بياناتهم وتصريحاتهم من أبراجهم العالية .. فلما كشف الله سترهم ، ونزع الأقنعة من على وجوههم سارعوا إلى طاولة المفاوضات العلنية فى مدريد وواشنطون .. فلما افتضح أمرهم فى المفاوضات العلنية فى مدريد وواشنطن لجأوا إلى المفاوضات السرية فى أوسلو والرباط .. فلما تصدى لهم الشعب الفلسطينى المسلم قالوا : « سلام الشجعان » !!

إن أطفال الحجارة بحجارتهم البسيطة قد أعادوا لوطنهم هويته ،

ولقضيتهم تألقها وتوهجها ، واستحقوا عن جدارة إعجاب العالم كله ، وكسبوا احترامه لهم ولقضيتهم وجهادهم العادل ، ولمبادئ العدل التى تنطلق منها .

وهذا المثال لا يمكن فهم أهميته وأبعاده إلا بإلقاء نظرة متعمقة فى كل تفاصيله التى تصب كلها فى الفكرة الأساسية .. وهى أن « المؤمن لا ييأس » ، وأن « الحقبة الإسرائيلية » ما هى إلا كذبة كبرى روّج لها الأعداء وصَدّقناها نحن ثم بعد ذلك رددناها عن غباء .. أو عن ضعف .. أو عن غرض .. أو عن مرض .. لأن أطفال الحجارة ومن قبلهم أشبال الكاتيوشا ولدوا من أرحام اليأس والظلم والإحباط ، وفتحوا أعينهم على واقع أليم ، واحتلال غاشم يستخدم كل أشكال القمع والقهر ، وانتهاك الحقوق ، ومصادرة الحريات ، والتطهير العرقى والعنصرى ، وزرع المستوطنين فى كل مكان !! .

لقد كان الأعداء يظنون أنهم بعد عقود من الردع والسيطرة والتهويد قد أصبحوا أسياد الموقف .. خاصة وأن أجيال الهزيمتين الأولى والثانية قد شاخوا والتهوا بصغائرهم وخلافاتهم ومشاداتهم .. كما أن قيادات الأمل والصمود قد صُفِّيَتْ .. إما بالاغتيالات والعمليات الإرهابية التى قادها إسرائيليون .. وإما بأيدى الرفاق والأصدقاء وأبناء الثورة الواحدة .. ولكن خابت ظنونهم .. فقد أثبت أطفال الحجارة للإسرائيليين وللفلسطينيين معاً وللعرب والمسلمين جميعاً .. بل وللعالم كله أنهم أشد إيماناً وجرأة من آبائهم وأجدادهم .. لأنهم مستعدون للموت والاستشهاد فى سبيل الله .. وفى سبيل الحرية والعزة .. وفى سبيل استعادة الحقوق واستخلاص الأرض المغتصبة !! .

وعندما تم التوقيع على الاتفاق الفلسطينى الإسرائيلى فى واشنطن

تراءى للكثيرين أن ساعة النهاية قد حانت ولم يبق سوى تنفيذ بنود صك الاستسلام .. ولكن الأحداث أثبتت أن ما بنى على باطل فهو باطل ، وأن أى اتفاق يبنى على الغش والغبن لا يمكن أن يبصر النور .. وكان واضحاً أن هذا الاتفاق لا يمكن أن يكون دائماً .. بل هو مجرد خطوة لا بد أن تتبعها خطوات عملية تثبت أن السلام حقيقى وليس مجرد خدعة إسرائيلية جديدة .. ولهذا تأخرت عملية التنفيذ ، وطرأت خلافات لم يحلها اتفاق القاهرة .. بل زاد الغموض غموضاً ، وضاعف الشك شكًا حتى تكشفت حقائق كانت خافية على البعض .. أو حاول البعض إخفاءها لتمرير الصفقة بأقل قدر من الخسائر !!

لقد جاءت مجزرة الخليل لتحدث دوياً هائلاً ، وتسبب صدمة قوية فى الوجدان العربى والإسلامى الحر الأصيل .. خاصة وأنها وقعت فى فترة من الخمول والفرقة ، والتشرذم والقطيعة .. إلا أنه رغم أهوالها ، وحجم مأساتها ، والأحزان التى حملتها معها فإن أرواح الشهداء ، ودماء الأبرياء لم تذهب هدراً .. وكأن قصة الخليل إبراهيم وكبش الفداء العظيم ، ودروس التضحية المستفادة قد تكررت فى مدينته الباسلة .. وحرمه الشريف .. وغَارِه الذى يرقد فيه مع رهط من الأنبياء .

* * *

وأخيراً وليس آخراً ..

وأخيراً .. وليس آخراً .. فهذه حقيقة مؤلمة لا بد أن نكشف عنها الغطاء .. وهى للتاريخ .. والتاريخ لا يخطئ .. وكما هو معروف فإن التاريخ ليس ملكاً لأحد .. وهذه الحقيقة هى أن لعبة المعاهدات العربية الإسرائيلية ستمتد لتشمل كل الأطراف العربية .. لا فرق بين دولة وأخرى من كل دول المواجهة ..فلقد تورطت مصر فى مستنقع الكامب ، واخترقت إسرائيل من خلالها كل الحواجز .. ومن كامب ديفيد انطلقت إسرائيل فى سعيها الدؤوب لتوقع ببقية دول الطوق .. وكانت :

* كانت كل أوراق عرفات جاهزة !!

....

* وكانت اللقاءات الجانبية فى النمسا والرباط على ما يرام .

... ...

* وكانت مفاوضات مدريد وواشنطن قد تمت والحمد لله .

... ...

* وكانت المفاوضات السرية فى أوسلو قد استكملت حلقاتها، وآتت ثمارها حسب الخطط الموضوعة بالتنسيق بين الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى تحت مظلة الراعى الأمريكى !!

... ...

* وكان اتفاق (غزة / أريحا) قد تم التوقيع عليه بعد الاتفاق على الحكم الذاتى .. ولا يهم سلامة التطبيق على أرض الواقع حتى ولو

كانت الممارسات الإسرائيلية على الأرض المحتلة لا تزال تأخذ شكلها الدموى بسقوط الضحايا من الفلسطينيين فى كل يوم !!

.. ..

* وكان غصن الزيتون فى جيب « فخامة الرئيس » عرفات يرفعه الرجل المسالم فى الوقت المناسب .. وكله شغل .. وكله جهاد ونضال .. حتى ولو كان الإرهابى إسحاق رابين صاحب قرار تكسير عظام الفلسطينيين قد بدأ يهدد بإعادة النظر فى موضوع مواصلة التفاوض مع الفلسطينيين حول (النقل المبكر للصلاحيات) صلاحيات الحكم الذاتى فى باقى أنحاء الضفة الغربية إذا لم يُثبت الفلسطينيون قدرتهم على السيطرة على الموقف أمام الرفض الشعبى لكل مشاريع السلام الزائفة التى تقودها (حماس) ، و(الجهاد الإسلامى) .. والرفض الشعبى لعمليات « زرع المستوطنين » اليهود فى دائرة الحكم الذاتى جنباً إلى جنب مع الفلسطينيين أصحاب الأرض الحقيقيين حتى لا يقترب الغاز من عود الثقاب .. وكانت حماس قد حددت للمستوطنين وجنود الاحتلال مدة معينة قاربت على الانتهاء بأنها ستوجه ضربات انتقامية وصفتها بأنها ستكون موجعة إذا لم تفرغ إسرائيل هذه المستوطنات من المستوطنين اليهود .. لا سيما وأن إسرائيل كانت قد حذرت السلطة الفلسطينية الجديدة من أن كتائب (عز الدين القسام) وهى الجناح العسكرى فى منظمة حماس تستعد لتنفيذ بعض العمليات العسكرية انتقاماً لشهداء الحرم الإبراهيمى .

* * *

الأردن .. واختصار الطريق

أما الأردن فقد أراد أن يوفر على نفسه (وجع الدماغ) فاختصر الطريق وفاجأ العالم من عمان بأنه يفضل السلام بعد أن حوصر بالضغوط من كل جانب ، وبأن وضعه الاقتصادى يحتم عليه أن يعلن وقف القتال بين الأردن وإسرائيل بعد ثلاثين عاماً من الحرب حين أثقلته الديون ، وشغلته الهموم ، وتخلى عنه الأصدقاء ، وتوقف الإخوة فى الخليج عن مد يد العون إلى الملك الهاشمى العريق كنتيجة طبيعية لموقفه من الغزو العراقى، وتأييده للمجرم التكريتى البعثى صدام حسين فى سطوه على الكويت واحتلاله لأرض عربية مسلمة ، واحتجازه حتى الآن لأعداد كبيرة من الشعب الكويتى المسلم ، واتخاذهم أسرى حرب رغم نداءات العالم المتكررة للإفراج عنهم دون أن يستجيب .

فماذا يفعل الملك الهاشمى بعد ذلك لا سيما وأن أمريكا قد تعهدت له بإعادة ترتيب البيت الأردنى ، كما تعهدت له بسد الثغرات ، ودفع النفقات ، وتحسين العلاقات ، وفتح الأبواب للسائحين والسائحات .. ولقد كان وزير السياحة الأردنى « السيد محمد العدوان » أكبر مسئول أردنى يزور إسرائيل علناً يوم ١٧ ديسمبر ١٩٩٣ ويسير مع نظيره الإسرائيلى « عوزى بارام » على ساحل البحر الميت وسط زغاريد النساء اليهوديات من أصل مغربى وتصريحات الوزير الإسرائيلى بأن الأردن وإسرائيل سيتقدمان بتصور مشترك فى أكبر مؤتمر سياحى فى العالم يعقد فى البرتغال فى وقت لاحق من هذا العام ، وسيبدآن معاً مشروعات تسويق مشتركة .. ثم يرد عليه الوزير الأردنى فيقول : « أعتقد أنه مع ازدهار السلام بين الأردن وإسرائيل فإن كل طاقات

الشعبين [يعنى الشعب الأردنى والشعب الإسرائيلى معاً] ستستخدم فى البناء والتنمية والتعاون .. وعند ذلك سيمكننا أن نكمل بعضنا بعضاً ..!! .

وهكذا تقع عمان هى الأخرى فريسة بين فكّىْ إسرائيل ، وتمارس لعبة السلام الخادع حتى يستريح العدو الإسرائيلى من أخطر المواجهات على الجبهة الشرقية التى طالما شغلت أذهان العسكريين الإسرائيليين على مدى الثلاثين سنة الماضية حتى جاءها الفرج على يد سليل الأشراف !!

* * *

دور سوريا .. وبيت القصيد

ويأتى دور سوريا .. وهذا بيت القصيد ..

لقد دخلت سوريا لعبة المفاوضات وهى لا ترفع (غصن الزيتون) كما رفعه ياسر عرفات .. أى أنها دخلت اللعبة طرفاً قوياً يصعب ترويضه ، ويمكن أن يشكل خطراً معيناً أمام ترسانة إسرائيل العسكرية .. إلى جانب القوى البشرية التى تتمثل فى أكثر من مليون جندى سورى تَحْسِبُ لهم إسرائيل ألف حساب .. فإذا أضفنا إلى ذلك أن لبنان ـ وهو أحد الأطراف الرئيسية فى المفاوضات العربية الإسرائيلية ـ لا يمكن أن يخرج على طاعة دمشق ، أو يتحول عن المسار السورى ، وأن سبب المتاعب الإسرائيلية فى الجنوب اللبنانى بعد الاحتلال العسكرى الإسرائيلى للبنان هو الوجود السورى بثقله السياسى والعسكرى .. ومع ذلك .. ورغم التشدد السورى الذى بهر الناس فى العالم العربى والإسلامى .. ورغم شروط دمشق المعروفة وعلى رأسها : (الجلاء الكامل والفعلى والفورى) عن الجولان دون أى تنازل عن وصف واحد من الأوصاف الثلاثة : الكامل .. والفعلى .. والفورى .. ورغم تصريحات السوريين بأنه لا سلام إلا بعد الجلاء مهما كانت ضغوط كريستوفر .. ووساطة مصر .. والوضع الاقتصادى السورى الذى تأثرت بسببه كل خطط التنمية .. رغم ذلك كله فإن سوريا قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى من دخول الحلبة ، وممارسة اللعبة .. هكذا تبدو كل التوقعات .. وهكذا تظهر كل الإرهاصات .. وهو ما تحتمه الظروف الدولية بعد تفكك الاتحاد السوفيتى ، وبعد تصفية المخزون النووى فى أوكرانيا وغيرها

من البلدان التى استقلت عن الاتحاد [ماعدا بطبيعة الحال المخزون النووى الإسرائيلى .. فإن إسرائيل قد رفضت التوقيع على كل اتفاق يمكن أن يجردها من هذا السلاح] .. ولعلى لا أذيع سراً إذا ذكرت ما كشفت عنه مجلة (جون أفريك) الفرنسية من أن مفاوضات سرية بين إسرائيل وسوريا بدأت عقب زيارة الرئيس عرفات لغزة .. وقد ذكرت المجلة الفرنسية أن بعض الدبلوماسيين الأمريكيين يقومون بدور الوساطة ، وأن سوريا وإسرائيل قد اتفقتا على قواعد وأسس المفاوضات وفى مقدمتها الجلاء التام عن الجولان .. غير أن التفاوض حول إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين ، وفتح الحدود للأشخاص ، ومسألة الوفود والبضائع فما زال التفاوض قائماً حولها .

هذا ما ذكرته المجلة الفرنسية ونقلته عنها مجلة (روز اليوسف) المصرية وهو ما يحدث الآن بالحرف على الساحة الأردنية وما سبق أن أوْرَدْتُهُ فى تحليل الموقف الأردنى على هذه الصفحات والذى انتهى أخيراً بفتح أبواب السياحة على مصاريعها بين الأردن وإسرائيل بلا تحفظ فى لقاء وزير السياحة الأردنى محمد العدوان مع وزير السياحة الإسرائيلى (عوزى بارام) .. ومن المعروف أن وزير السياحة الأردنى (محمد العدوان) يعتبر أول مسئول أردنى كبير يزور إسرائيل علناً قبل تحقيق أى كسب يذكر أو بذل أى ضمانات لصالح الطرف الأردنى .

* * *

متى تسقط سوريا وتخضع للضغوط ؟!!

وحين ترضخ سوريا أخيراً لضغوط أمريكا .. ووساطة مصر .. وتدير وجهها ـ بعد أن كانت تدير ظهرها ـ للبنك الدولى فإن لسان حالها سيقول :

** إذا كانت مصر .. وهى أكبر دولة عربية .. وأعظم ثروة بشرية .. وأبرز قدرة علمية .. وأقوى قوة عسكرية قد رفعت راية السلام ، وأغلقت ملف العداء ، وأصبحت على أبواب التطبيع الكامل ..

** وإذا كان الفلسطينيون وهم الطرف الرئيسى وسط كل الأطراف العربية .. ومصدر القلق الذى قلب الموازين فى خطط الدولة العبرية .. والشعب الأصيل الذى ظل أكثر من أربعين عاماً وهو يضرب أحسن الأمثلة الجهادية فى مواجهة شباب الهاجناه .. والاشتيرن .. والأرجون زفاى .. وميليشيات أحزاب اليمين التى قامت لحماية النظام العنصرى وخدمة المبادئ الصهيونية ..

** وإذا كانت الأردن وهى أبرز دول الطوق .. وعلى عاتقها تقع مسئولية ما يقارب المليون فلسطينى يعيشون الآن على أرضها ويحتفظ نصفهم بالهوية الأردنية .. وعلى حدودها يقع أطول خط مواجهة أمام إسرائيل [٥٠٠ كيلو متر] فى الجبهة الشرقية .. وهى الدولة التى كانت تحكم كل الضفة الغربية قبل الاحتلال الإسرائيلى .. ثم هاهى توسع صدرها للسلام .. وتفتح منافذها للسياحة .. وتمد يدها للمصافحة .. وتعلن على لسان عاهلها الحسين : لقد بذلنا كثيراً من الدماء ، وأنفقنا كثيراً من المال ، وأهدرنا كثيراً من السلاح ، وأوقفنا كثيراً من خطط

التنمية ، ووضعنا الأحزمة على البطون طوال ثلاثين عاماً .. ولا نملك الآن إلا أن نعمل على أن تضع الحرب أوزارها ..

ما زال لسان الحال السورى : يعدد الحجج ويسرد الذرائع :

** وإذا كان لبنان قد طحنته الحرب الأهلية ، ومزقته الخلافات الطائفية ، واحتلت إسرائيل حدوده الجنوبية .. وهو البلد المسالم الذى لا يعادى جاراً ، ولا يؤذى صديقاً ، ولا يناوش عدواً .. أقصى مطالبه أن يعيش آمناً فى سربه ، وأبلغ آماله أن يجلو العدو عن أرضه .. وهو يريد أن ينهض من كبوته ، ويخرج من محنته .. ولكن الحياء العربى يمنعه من الحركة ، والخجل السياسى يحول بينه وبين المبادرة .. وهو فى انتظار إشارة من دمشق يتم بها الوئام ، ويتحقق بها السلام ، ويستعيد بها نشاطه التجارى ، ومجده السياحى .. وسيظل يوجه أنظاره إلى الملعب السورى أملاً فى النجدة والانفراج .. ومع ذلك فإن لبنان رفض عقد أى معاهدات منفردة مع إسرائيل رغم وجود إغراءات عديدة مقابل ذلك .. وكان من الممكن إجراء مثل هذه المفاوضات بشكل سرى كما حدث مع بعض الأطراف العربية [أوسلو] لكن لبنان رفض الخروج على الموقف العربى والتضامن ضد إسرائيل ، كما أن لبنان سيكون آخر دولة عربية تعقد اتفاقيات سلام مع إسرائيل حتى فى حالة التوصل إلى تسوية مع سوريا نظراً لوجود تنسيق كامل بين سوريا ولبنان فى هذا الشأن باعتبارهما أصحاب مصير واحد .

* * *

وسوف تكون العبارات التالية هى ختام لسان الحال السورى :

* * إذا كان هذا هو حال دول المواجهة بدءا بمصر .. وانتهاء

بلبنان .. فماذا تفعل سوريا بعد أن صافحت كل الأيدى العربية الأيدى الصهيونية الملوثة بدماء العرب والمسلمين ، وبعد أن عقدت الاتفاقيات ، ووقّعت المعاهدات ، وفتحت الأذرع والقلوب ، تمهيداً للتبادل التجارى ، والانتعاش الاقتصادى ، والتعاون الثقافى .. أليس اليهود أتباع موسى .. وأبناء إسحاق .. أليسوا أبناء العم .. فإسماعيل وإسحاق هم أبناء لإبراهيم ؟!! ماذا ستفعل سوريا بعد ذلك .. هل ستظل وحيدة فى الميدان .. عدواً للسلام .. هل تستطيع سوريا أن تصفق بيد واحدة .. هل بإمكانها أن تواجه وحدها عدواً شرساً ماكراً يتحدث بلسان الغرب الصليبى ، ويضرب بسيف أمريكا المنحازة ، ويملك من الخزائن ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، ومن عوائد بترول العرب فى المصارف والبنوك ما لا يستطيع العرب أنفسهم أن يتحكموا فيه ؟!!

إذن ماذا تملك سوريا بعد كل هذه المصالحات العربية المتعاقبة إلا أن تكون أحد المشاركين على الطاولة .. وإلا أن تصافح الأيدى النجسة .. وإلا أن ترفع غصن الزيتون .. وإلا أن تجلس تحت سارية تحمل ثلاثة أعلام .. أولها العلم الأمريكى .. والثانى العلم السورى .. والثالث علمٌ يشكل اللونين الأزرق والأبيض ويحمل داخل أطرافه الأربعة : النجمة السداسية [نجمة إسرائيل] ؟؟ !!

***

ويا أيها الذين مازلتم تُمنّون أنفسكم بالأمان ، وتلهثون وراء السلام .. إن اليهود هم اليهود .. ليس لهم مواثيق ولا عهود .. الوقائع تؤكد .. والتاريخ يُذَكِّر .. فإن « بنى النضير » .. « وبنى قريظة » .. و « بنى قينقاع » هم بأعينهم « الليكود » .. و « والعمل » .. و « كاخ » .. إن هؤلاء يمثلون المراوغة بكل أشكالها .. والخديعة بكل ألوانها .. والغدر

بكل صنوفه وسماته .. وكما كان اليهود فى المدينة يحيكون المؤامرات ، ويثيرون الاضطرابات، ويؤلبون الأحزاب ، ويختلقون الأسباب .. فكذلك هم الآن : « اللوبى الصهيونى » يتحرك فى الكونجرس الأمريكى بالسعاية والتحريض ..

ومملكة « روتشيلد » فى فرنسا تفتح خزائنها لبنى صهيون .. بذلاً وإنفاقاً على مشاريع التوطين ..

وعصابة الإعلام والمال في بريطانيا لا تدخر وسعاً فى خدمة التوسع الإسرائيلى فى الأرض المحتلة منذ عهد بلفور وتشرشل .. وحتى عهد تاتشر وميجور .. ونحن قابعون نلعق جراحنا ، وننكفئ على آلامنا ، ونجرى وراء الأوهام ..

أما أنت أيها القارئ .. فدع جانباً كل ما قرأت من هذه السطور ، وأمعن النظر فى هذه الآيات التى وردت فى كتاب الله الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. ثم استحضر إيمانك وإسلامك وانظر ماذا ترى .. ثم احكم بعد ذلك على أبناء القردة والخنازير :

يقول الحق تبارك وتعالى : فى سورة آل عمران الآية ١١٨ :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بيّنا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ .

وفى نفس السورة ١٤٩ ــ ١٥٠ :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم

على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين * بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ﴾ .

وفى سورة النساء الآيتان : ١٣٨ ـ ١٣٩ :

﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ﴾ .

وفى نفس السورة الآيتان : ١٤٤ ـ ١٤٥ :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً * إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾ .

وفى سورة المائدة الآيتان : ٥١ ـ ٥٢ :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين * فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتىَ بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين ﴾ .

فى سورة البقرة الآية ٦١ :

﴿ .. وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من

الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ .

وفى السورة نفسها الآيتان ٦٥ ، ٦٦ :

﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين * فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ .

وفى السورة نفسها الآية ٧٩ :

﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ .

وفى سورة المائدة الآية ٤١ :

﴿ .. ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ .

وفى السورة نفسها الآيات من ٧٨ ـ ٨٠ :

﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا

لا يتناهوْن عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون * ترى كثيراً منهم يتولوْن الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ﴾ .

* * *

هؤلاء هم اليهود .. وهذا هو حكم الله فيهم .. فهل سيتحرك اليهود بعد توقيع المعاهدات وبعد التطبيع فيسعوا إلى أن تَحْذِفَ الأنظمةُ العربية إلتى توقع المعاهدات وتقبل بالتطبيع هذه الآيات من مناهج التعليم مجاملة لليهود بعد عملية التطبيع ؟!..

إن إسرائيل لن تكف عن المحاولة .. ولكن الله عز وجل هو سبحانه الحافظ لكتابه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ولا غالب إلا الله .. ولكن أكثر الناس لا يفقهون .

حسين عاشور

* * *

الجامعة العربية تنتقد قرار الأمم المتحدة رقم ٩٠٤ الخاص بمذبحة « الحرم الإبراهيمي »

قال مسؤول كبير فى جامعة الدول العربية :

إن مجلس الأمن أصبح لا يمثل الشرعية الدولية ، وأن إسرائيل تتمتع « بالحماية الدولية حتى تواصل سياستها فى القتل والإرهاب » .

وقال السفير عدنان عمران الأمين العام المساعد للجامعة العربية :

« إن مجلس الأمن يصدر قرارات تنفذ وكذلك قرارات لا تنفذ ، وإننا نأسف أن نجد دولاً امتنعت عن التصويت على قرار مجلس الأمن لفقرة وردت فى القرار » .

وأضاف قوله :

« وكذلك نجد من يشكك فى أن القدس أرض محتلة » . وقال عمران فى الكلمة التى ألقاها فى المؤتمر الثانى للتضامن والتعاون فى البحر المتوسط :

« إن الدول الغربية برهنت عن تمسكها بالاحتلال والقمع » .

وأضاف قوله :

(قالت إسرائيل : « لا » للانسحاب من الأراضى المحتلة .. و « لا » للقدس .. و « لا » لازالة المستوطنات .. و « لا » لعودة اللاجئين .. و « لا » للانسحاب من الجولان) .

واستطرد عمران قائلاً :

« إنه فى الوقت الذى تطالب فيه إسرائيل العرب بالسلام والتطبيع والتبادل التجارى فإنها تعزز ترسانتها الحربية بالأسلحة النووية » .

وتساءل عمران قائلاً :

« إن الولايات المتحدة فرضت حظراً على ليبيا لمجرد الاشتباه فى أن مواطنين ليبيين تورطا فى تفجير طائرة ركاب أمريكية فوق لوكربى وتطالب بمحاكمتهما . وتحاول فرض الحظر على كوريا الشمالية لاحتمال امتلاكها الأسلحة النووية .. بينما لم تحاول المساس بإسرائيل رغم تأكد العالم من امتلاكها الأسلحة النووية ومواصلتها لسياسة عدم الانضمام إلى اتفاقية منع الانتشار النووى رغم امتلاكها لأكثر من ٢٠٠ قنبلة نووية مما يشكل تهديداً لأمن المنطقة » .

وجاءت تصريحات عمران بعد صدور قرار مجلس الأمن رقم ٩٠٤ الذى يندد بمجزرة الحرم الإبراهيمى فى الخليل وإعلان واشنطن عن اجتماع بين مسؤولين إسرائيليين وفلسطينيين فى وقت قريب .

* * *

مذبحة الحرم الإبراهيمي

القضية المنسية وسط التخاذل العربي
والاستجابة لأنغام السلام المزيف

أول تغطية جادة في أول
كتاب يصدر عن المذبحة
في مصر

محمد عبد الله السمان

مقدمة

بقلم :

محمد عبد الله السمان

سألنى صديقى الشاب المسلم (شريف أبو أحمد) الطالب الجامعى بالقاهرة :

« أليس لأنظمتنا العربية والإسلامية أعمار افتراضية شأنها شأن الآلات ؟!! » .

وصديقى يعنى ـ بالطبع ـ الكثير من الأنظمة التى تحكم ديار العروبة والإسلام ، وتتحكم فيها .. إذ ليس لدينا أنظمة عربية بالمعنى الدقيق .. ولكن لدينا [مسخ] من الأنظمة محسوبة على العروبة .. وليس لدينا كذلك أنظمة إسلامية .. ولكن [لدينا مسخ] من الأنظمة محسوبة على الإسلام .. إلا من رحم ربك .. أما علمتم ما يحدث الآن مثلاً فى تركيا وإندونسيا والعراق وتونس من محاربة لتشريعات الإسلام ، ومناوأة لمبادئه وامتهان لأهله والمنتسبين إليه ؟ !! لأن من شأن العروبة والإسلام رفض الذل والخنوع ، والاستكانة والضعة ، والاستماتة فى سبيل الحفاظ على الكيان والكرامة ، والذود عن العرض والشرف ، والتطلع إلى العلياء والمجد .. ومثل هذه الخصائص الجليلة لا مكان لها ـ على الإطلاق ـ فى أنظمتنا المعاصرة .. !!.

قلت لصديقى الشاب المسلم الغيور :

يا عزيزى .. ليس لأنظمتنا المعاصرة أعمار افتراضية .. لأنها ولدت ميتة منذ كانت فى الأرحام ،.. وليس لمن ولد ميتاً أى عمر افتراضى .. وإن أنظمتنا المعاصرة إن عُدّت فى الأحياء ـ عُرْفاً ـ فهى فى عداد

الأمـوات واقعاً .. الأحيـاء ـ بحق ـ هم الذين لهم وجود معترف به ، ذو قيمـة ووزن .. بينما الأحياء ـ عرفاً ـ ليس لهم وجود معترف به .. وهؤلاء هم الذين عناهم الشاعر العربى بقوله :

ليس من مات فاستراح بميْت إنما الميْت ميّت الأحيـــاء

قال صديقى الشاب المسلم :

« أراك أشـد مـا تكون انفـعـالاً الآن .. لابد أن للجـريمة الإسرائيلية البشعة فى الحرم الإبراهيمى أثراً فى نفسك .. فماذا تتوقع ؟

فقلت : يا صديقى العزيز .. إن هذه الجريمة الإسرائيلية البشعة قد اهتزت لها الدنيا بأسرها .. باستثناء العرب والمسلمين .. لأنهم خارج حدود الحياة ، أو على الأكثر هم على هامش الحياة دون أن يكون لهم أى وزن فى موازين القوى فيها .

أما عن سؤالك : ماذا أتوقع ؟ فأعتذر إليك .. لأنى سأدع الإرهابى الذى هلك ـ بيـجن ـ رئيس الوزراء الصـهـيـونى الأسبق يجيـبك عن سؤالك .. وقد سئل إثر الغارة الإسرائيلية على المفاعل الذرى العراقى التى دمرته قرب بغداد .. سئل الإرهابى السفاح :

هل تظن أن العرب سوف يقومون بأى عمل كرد فعل على الحادث ؟

فأجاب : « أعتقد أنهم سيتكلمون كثيراً .. ثم سرعان ما ينسون !!
وصدق بيجين وهو كذوب .

هذا السفاح الإرهابى كان فى رده أدرى بما يقول .. ولقد تحدث من منطلق دراسته وخبرته .. فالجرائم الصهيونية التى ترتكب ضد

الشعب الفلسطيني وغيره ، إنما تقابل من العرب والمسلمين بحناجر عنترية .. وسيوف من خشب !! .

يا صديقى العزيز :

إن الجزرة الرهيبة التى وقعت بالمسجد الإبراهيمى فى فجر الخامس عشر من رمضان ـ ٢٦ فبراير ١٩٩٤م ، والتى راح ضحيتها عشرات المصلين شهداء ، وبضع مئات من الجرحى مات معظمهم بعد ذلك ، إنما تمثل قمة التحدى الصهيونى السافر لأمة العرب والمسلمين لم تعد تمثل فى موازين الحياة حفنة من تراب !! والتحدى الجرئ السافر لأنظمة تتحكم فى رقاب هذه الأمة .. ومن حسن حظ آل صهيون أن هذه الأنظمة لا تبالى أى نوع يمكن أن يكون مثل هذه التحديات .. وإن كانت أعمارها الافتراضية تنتهى إثر استرخائها فوق عروشها .. إلا أنها تفرض وجودها على الشعوب مؤيدة من الجيش .. والشرطة .. ووسائل الإعلام .. بالإضافة إلى حملة المباخر الفضية ، والخناجر المهترئة ، والأقلام الصدئة التى تحترف النفاق رغبة فى ذهب المعز .. أو رهبة من سيفه .

إن هذه الجريمة البشعة التى ارتكبتها العصابة من حفدة قتلة الأنبياء ، ومصاصى الدماء ، لا تمثل ـ وحسب ـ ذروة الجبن والخسة والنذالة فى آل صهيون .. فهذه الخصال وأبشع منها لا تعتبر جديدة عليهم ، وهى تجرى فى نفوسهم مجرى الدماء فى العروق .. بل إن هذه الجريمة البشعة إنما تمثل فى المقابل قمة الهزيمة والخيانة والاستخذاء فى أدمغة ولاة الأمور فى ديار العرب والمسلمين .. هذه الأدمغة التى استمرأ

حملتها إذلال شعوبهم، والاستئساد عليها ، لتحويلها إلى مجرد دمى تحركها أيديهم لتهتف لهم وتصفق ، و« أراجوزات » تسليهم وترفه عنهم !! .

والمأساة التى أصبح من العسير الخروج منها إنما تتركز فى الشعوب العربية والمسلمة التى تجمدت مشاعرها وأحاسيسها ، وتضاءلت هممها ، ووهنت عزائمها بعد أن أصبحت فى معزل عن دينها وشريعتها فاستسلمت للهوان !!

والمأساة ـ أيضاً ـ تتمثل فى وسائل الإعلام التى تركت الجريمة البشعة وأبعادها لتجعل جل اهتمامها فى إبراز بيانات الزعماء العنترية لمجرد الاستهلاك ، والتى سرعان ما تتحول إلى فقاقيع ما إن تظهر حتى تختفى .. أما الأزهر فكان الله فى عونه .. لم ينس أن يحتفل بنصر المسلمين فى بدر .. الذى ما زالت أجيالنا تعيش على آثاره وأمجاده دون انتفاضة أو استنفار !!

لقد نجحت وسائل إعلامنا فيما فشلت فيه وكالات الأنباء العالمية، وهى التغطية على المجزرة الرهيبة حين ظلت أخبارها ردحاً من الزمن تحتل الأولوية هناك .. بينما احتل الأولويات عندنا فوازير رمضان .. تلك الفوازير المسفة التى استوردنا لها راقصات من حفيدات « سالومى » و«راشيل» و« جيئولا » اللائى كنّ يرقصن على أنغام الموسيقى وكأنهن يخرجن لنا ألسنتهن غيظاً وشماتة .. بالإضافة إلى مسلسلات التلفاز الهابطة ، وماتشات الكرة اللاهية ، ثم لعبة التطرف والإرهاب !! .

وأمريكا التى لم تحرك مشاعرها دماء الضحايا فى البوسنة والهرسك والحرم الإبراهيمى فإنها مشغولة بمحاصرة الشعبين الليبى

والعراقى .. وليس محاصرة نظامى معمر وصدام ، ثم اتهام السودان وسوريا بإيواء الإرهاب وتشجيعه ، واستعداء الآخرين على الحركة الإسلامية لمحاصرتها وكتم أنفاسها حتى الموت !!

* * *

* هل كتب على الأمة المسلمة ـ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ أن تكون ذليلة مهينة ، وأن تكون غثاء كغثاء السيل، تتوالى عليها الضربات من كل حَدَب وصَوْب ، فلا تواجهها إلا بتنكيس الرؤوس ، وجمود المشاعر والأحاسيس ، ولعق الجراح فى بلاهة واستخذاء ؟!!

وفى النهاية فإن الشعوب العربية والمسلمة وحدها هى التى تدفع الثمن باهظاً .. لا من دمائها ـ وحسب ـ بل كذلك من كرامتها .. أما سادتها وكبراؤها الذين أضلوها السبيل .. فهم فى رغد من العيش ، وبحبوحة من البذخ ، وسعة من الترف ، يتبارون مع نجوم الفن فى الظهور على الشاشة الصغيرة ، ويبتسمون ابتسامات صفراء لما يضفيه عليهم من بطولات زائفة حملة المباخر ، وأبواق المنافقين !! .

إنهم آمنونَ مطمئنون .. عروشهم وتيجانهم فى حماية السيد الجديد الذى يحكم العالم الآن ، وشعوبهم فى غيبوبة ورعب من قوانين الطوارئ الظاهرة والخفية معاً .. لقد نجحت

تلك العبقرية الاستعمارية فى تحقيق هدفين لهما خطورتهما وأبعادهما :

الهدف الأول : صنع الانفصال التام بين الأنظمة والشعوب التى أصيبت ـ إزاء هذا الانفصال ـ بالإحباط القاتل، والتراخى الممل ، والسلبية المطلقة فى أخطر صورها حتى صارت فى غيبوبة طويلة بعيدة عن الأحداث الجسام التى تأتى على كيانها ، وتهدد حاضرها ومستقبلها .. ولقد انحسر دور هذه الشعوب اليوم فى أن تهتف للطغاة وتصفق لهم ، حين يأذنوا لها بالهتاف والتصفيق ، ولا شأن لهذه الشعوب ـ على الإطلاق ـ بالمشاركة فى اتخاذ القرار ولو هامشياً ، لأن اتخاذ القرار وقف على السادة مبعوثى العناية الإلهية !! .

الهدف الثانى : وضع الأمة العربية والإسلامية فى دوامة صلفة أطلق عليها عباقرة الغرب : « ظاهرة التطرف والإرهاب » التى نسبوها إلى الإسلام زوراً .. وإذا كان الغرب الصليبى بقيادة [واشنطن وتوابعها : لندن وباريس ، وبون وروما ، وموسكو وأثينا ، وغيرها] ، مقتنعاً بأن الإسلام يمثل الخطر الأكبر على وجوده فقد استطاع هذا الغرب الصليبى أن يقنع سائر الأنظمة فى ديار الإسلام والعروبة أن الخطر المحدق بعروشهم ليست الصليبية .. ولا الصهيونية .. ولا الهندوكية .. بل الصحوة الإسلامية التى تمخض عنها

« التطرف والإرهاب » كما زعموا وكذبوا وافتروا ، وفرض على أصحاب العروش والتيجان أن يصدقوا ويقتنعوا ..

وهكذا أصبحت الظاهرة المفتعلة شغلهم الشاغل .. تتقدم على الجرائم البشعة التى ترتكب فى حق الشعوب .. بل وعلى متطلبات الحياة الضرورية ، وتتقدم ميزانية بناء السجون والمعتقلات على ميزانية بناء المساكن المتواضعة لإيواء الأسر التى تزاحم الأموات فى مقابرهم .. وهكذا أصبح الأمن يعنى أمن الأنظمة من صحوة الإسلام ، ولا يعنى أمن الشعوب من بطش هذه الأنظمة وطغيانها .

بل وما هو أدهى وأشد مرارة :

أن كل الحوادث المخلة بالأمن تنسب ـ على وجه السرعة ـ إلى الجماعات الإسلامية فى كل مكان .. وهكذا أصبحت الظاهرة المختلقة ـ كما يقولون ـ : شماعة « أتوماتيكية » حديثة يعلق عليها كل فشلنا .

أجل .. ورب الكعبة :

لقد جاءت ـ ظاهرة التطرف والإرهاب ـ التى هى نتاج تلك العبقرية الاستعمارية ـ فرصة ذهبية للأنظمة الشمولية تدارى بها فشلها فى الداخل والخارج .. فشلت فى الداخل لأنها بعد رحيل الاستعمار بنصف قرن لم تتقدم بدولها خطوة

واحدة إلى الأمام اقتصادياً وعلمياً .. بل ظلت دولاً مستهلكة وليست دولاً منتجة .. أو سياسياً .. لأن الاستقلال الذى منحته كان زائفاً .. وهى لا تزال تابعة للغير وليست متبوعة لأحد .

وفشلت الأنظمة الشمولية فى الخارج .. فليس لدولها وزن يذكر فى موازين القوى العالمية .. وليس لرأيها أثر يذكر فى الرأى العام العالمى .. وليس لقواتها قيمة ـ أدنى قيمة ـ فى نظر قوى البغى التى تمارس أساليب البربرية ضد إخوان لنا فى العروبة والدين ، والتى ترتكب أشرس الجرائم فى حقنا وهى تسخر من قرارت مجلس الأمن ..وهيئة الأمم .. ومنظمة المؤتمر الإسلامى ، والجامعة العربية .. ومليار مسلم أو يزيدون !! .

وحسبنا الله وحده ..

محمد عبد الله السمان

القاهرة : { صندوق بريد ١٦٢١ القاهرة
هاتف ٩٨٤٢٠١ ـ ٦٢٣٥٦٤

الإرهابى العتيق مناحم بيجين .. حينما سئل عن رد الفعل العربى إثر ضرب المفاعل النووى العراقى فأجاب : « أعتقد أنهم سيتكلمون كثيراً .. ثم سرعان ما ينسون » صدق بيجين وهو كذوب .. وهذا هو الذى حدث إثر مذبحة الحرم الإبراهيمى

تمهيد

* لم يتكلم السيف ولم يسكت القلم
* مزيداً من الجرائم ومزيداً من الإذلال
* حناجر عنترية وسيوف من ورق

لم يتكلم السيف .. ولم يسكت القلم

فى أواسط عام ١٩٤٨م ، ونحن بالمركز العام للإخوان المسلمين ، وشباب الإخوان يتأهبون إلى فلسطين جهاداً فى سبيل الله لتخليص فلسطين من الصهاينة واسترجاع الأرض المغتصبة التف الصحفيون حول سماحة مفتى فلسطين الشيخ أمين الحسينى ، ولم يسمعوا منه إلا عبارة واحدة :

« تكلم السيف .. فاسكت أيها القلم » !!!..

رحم الله مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى .. أذكى أذكياء الساسة العرب والمسلمين فى العصر الحديث .. لم يخنه ذكاؤه .. لكن الموقف الحرج أرغمه على النطق بهذه العبارة منعاً لتسرب اليأس إلى النفوس .. كان على علم يقينى بأن السيف العربى قد أصابه الصدأ حتى لم يعد قادراً على الكلام ، ولا بد أن يحل القلم محل السيف ليتكلم فى الهواء ما شاء له أن يتكلم !!

أذكر أننى أجريت منذ أكثر من نصف قرن مع سماحة المفتى رحمه الله الحاج أمين الحسينى ، ومع الدكتور عبد الرحمن عزام أول أمين عام للجامعة العربية رحمه الله حواراً .. كان الاثنان متفقين فى الرأى بأن دخول الجيوش العربية فلسطين مؤامرة خطط لها الاستعمار الغربى الصليبى المساند لليهود ، ولن تكون النتيجة إلا فى صالح شراذم اليهود ، وكان الإمام الشهيد « حسن البنا » على هذا الرأى .. وهو أن يذهب إلى فلسطين متطوعون .. فإن انتصروا كان خيراً .. وإن لم ينتصروا كان العالم العربى فى مأمن من إلحاق الهزيمة به .. إلا أن الأنظمة العربية لم تكن لها إرادة الرفض لمخططات الاستعمار !! .

كان وعد بلفور المشئوم فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧م شهادة ميلاد لدولة إسرائيل بلا حياة ، وكان دخول الجيوش العربية فى حرب

مع اليهود ، قد منح هذه الدولة الحياة .. تسابقت الدول فى الاعتراف بها ، وتوج الاعتراف باعتراف هيئة الأمم المتحدة .. وأخيراً اعترفت دويلة الفاتيكان بإسرائيل شكلاً بعد أن ظلت معترفة بها موضوعاً منذ قيامها فى عام ١٩٤٨م .

السيف يتوقف عن الكلام :

ومنذ عقدت مصر الصلح المنفرد مع إسرائيل توقف السيف عن الكلام .. حيث لم يعد لكلام السيف معنى .. وإذا كان صلح مصر مع إسرائيل بداية المؤامرة على قضية فلسطين .. فإن اتفاق « غزة / أريحا » بين المنظمة وإسرائيل كتب السطور الأخيرة فى تنفيذ المؤامرة كما تتمنى إسرائيل .. وليس كما يتمناه العرب .. وبعد ذلك لم يعد العرب فى حاجة حتى إلى سيف أخرس .. وإنما هم فى أمس الحاجة إلى قلم يكتب ، ولسان ينطق .. ولا أهمية لما يكتبه القلم ، ولا لما ينطق به اللسان .. والمهم تخدير الشعوب التى تتظاهر ـ مرغمة ـ بقابليتها للتخدير وهى فى أكمل يقظتها !! .

وليس عجيباً أن تسمح إسرائيل بصوت الرصاص الغادر أن يدوى فى المسجد الإبراهيمى بالخليل ليقتل « الرُّكّع السجود » ولا يسمح للشعوب العربية أن « ترتفع أصواتها » استنكاراً للجريمة البشعة وإلا ووجهت بالرصاص وبالقنابل المسيلة للدموع ، لمخالفتها قانون الطوارئ الجاثم على الصدور مما يقارب الخمسة عشر عاماً.. وهو الشيء الذى لا يوجد فى دولة واحدة على ظهر الأرض !! ولا شك أن فى إسرائيل قانوناً للطوارىء إلا أنه لا يطبق إلا على الفلسطينيين أصحاب الحق الشرعي .. بينما يسمح للمستوطنين الدخلاء من اليهود بحمل السلاح وإطلاق الرصاص العشوائى على العزّلِ من السلاح .. باستثناء الطوب والحجارة !!

* * *

وحتى لا نظلم السيف نقول :

هذا السيف ليس دائماً مصاباً بالعي والخرس .. لأن إصابته تلازمه حين يواجه أعداء العروبة والإسلام .. ولكنه يتكلم بانطلاق فى مجالين :

أولهما : حين تواجه الأنظمة العربية والإسلامية الشمولية معارضيها .. حيث لا تكفى السياط والهراوات لردع المعارضة كما فى مصر وسوريا والعراق !! .

ثانيهما : حين تكون المواجهة بين الشعوب العربية وأنفسها فى صورة حروب أهلية من أجل فئة قليلة تسعى إلى السلطة دون أن تنزعج لاستنزاف الدماء البريئة كما حدث فى تشاد .. ولبنان .. ويحدث اليوم فى الصومال .. واليمن .. وأفغانستان، وكما حدث من قبل بين إيران والعراق ، وبين العراق والكويت ، ويحدث اليوم بين كل من تركيا والعراق من ناحية .. وبين أكراد الدولتين من ناحية أخرى !! .

وحتى لا نتجنى على القلم نقول :

لم يستجب السيف لما قاله سماحة مفتى فلسطين ويتكلم .. كذلك لم يستجب القلم لما قاله سماحته ويسكت .. بل لقد انطلق .. لا لحساب قضيتنا المصيرية مع القوى المعادية للإسلام والعروبة معاً .. ولكن لحساب أهواء السلطة التى تدفع له الأجر بسخاء .. وهناك القلم الذى استجاب لما قاله سماحة المفتى ، والتزم الصمت ، لأنه عز عليه أن يشترك فى زفة التزلف إلى السلطة .. و « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » كما يقول المثل العربى .

وهكذا صارت الأمة العربية والإسلامية فى موقف لا تحسد عليه .. بين يأس من صليل السيوف .. وزهد فى صرير الأقلام .. والشعوب العربية والإسلامية التى استمرأت ـ عن رضى وطيب خاطر ـ أن تظل مغلوبة على أمرها هى اليوم على هامش الحياة فى معزل عن الأحداث الجسام .. حتى صلاة الغائب على شهداء المذبحة البشعة بالمسجد الإبراهيمى فى فجر الجمعة الخامس عشر من رمضان الفائت أُديت

كمـا تؤدى صلاة الخـوف .. إن أخشى ما تخشـاه الأنظمـة الشمولية في ديارنا نحن ـ العرب والمسلمين ـ أن تستيـقظ مشاعـر الشعـوب وأحاسيسها ، ولو وجهت هذه الأحاسيس والمشاعر إلى الأعداء خشية أن توجه يوماً ما إليها !!

ومن هذا المنطلق :

ترتكب القـوى المعادية للعروبة والإسلام الجرائم البشعة ضـدنا .. تمزق الأجساد ، وتنهش الأعراض .. وهى مطمئنة غاية الاطمئنان ، دون أن تتوقع انتفاضات الشعوب العربية والإسلامية ، لأن الأنظمة عندنا تمثل صمـام الأمان ، وقوانين الطوارئ سيوف مصلتة على الرقاب .. المعلنة منها وغير المعلنة .. وقد يسمح للأقلام أن تستنكر ، وللألسنة أن تشجب وتندد .. شريطة أن يسمع العالم برمته جعجعة ولا يرى طحناً !!

* * *

ويتساءل البسطاء فى دهشة .. وليس فى أسى :

ما جدوى الجامعة العربية .. ولا نقول : ما جدوى منظمـة المؤتمر الإسلامى ، أو منظمة الوحدة الأفريقية ؟!!

ونجيب نحن فى أسى .. وليس لمجرد الدهشة :

إن هذه المنظمـات هى منظمـات حكومـات .. وليست منظمـات شعوب .. وهذا هو سر فشلهـا .. وقد رأينا أن الوحدة الأوربية الحديثة تختفى فيها الحكومات .. لأن الشعوب هناك هى صاحبة اتخاذ القرار .. أما منظماتنا فهى لمجرد الاستهلاك ، لا تحس بها الشعوب ولا تكاد تدرى عنها شيئاً .. وها نحن أولاء نرى أن الجامعة العربية منذ إنشائها فى الثانى والعشرين من مارس عام ١٩٤٥م لم تفعل شيئاً يذكر .. والجامعة العربية أصلاً هى فكرة « مستر إيدن » وزير خارجية بريطانيا يومئذ .. فقد كان إيدن يرى أن العرب لكى يختلفـوا يجب أن تكون لهم مائدة يجلسـون حولها فكانت الجامعة العربية !!

ويشهد اليوم شاهد من أهلها :

لقد نشرت « الأهرام » فى ١٩٩٤/٣/٢٧م نقلاً عن إجماع الصحف السعودية : أن الجامعة العربية غير قادرة على الوفاء بالتزاماتها .. وذلك على أثر اجتماع المجلس الوزارى للجامعة بالقاهرة .. لقد قالت الصحف السعودية : « إن الجامعة العربية لا تبدو قادرة على الوفاء بالمطلوب منها حيال القضايا العربية الملحة فى الصومال .. وجنوبى السودان .. وأزمة لوكيربى .. والجزر الإماراتية .. والقضايا العامة كأزمة الشرق الأوسط ، والأوضاع السياسية والاقتصادية العربية !! وصدقت الصحف السعودية .. فهل نقرأ ونعى ؟!!

هذا وكانت صحيفة « الرياض » قد أعلنت تشاؤمها حيال مستقبل الجامعة ، أو بدورها كمنظم فعال للتضامن العربى ، والعمل الجاد وسط عالم سريع التغير .. ثم أضافت : إن هناك دولاً عربية أعضاء فى الجامعة تريدها أن تظل هامشاً سياسياً !

ويبدو أن ما نشرته الأهرام القاهرية هو القدر المسموح لها به .. لذلك لم تتعرض للعلل والأسباب .. وهذا هو المطلوب !!

* * *

مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى الذى يعتبر أذكى العرب فى العصر الحديث .. التف حوله مجموعة من شباب المتطوعين من الإخوان الذين يتأهبون لخوض معركة الجهاد المقدس فى فلسطين .. بالإضافة إلى مجموعة من الصحفيين العرب والأجانب .. ولم يسمع الجميع منه سوى كلمة واحدة هى « تكلم السيف .. فاسكت أيها القلم »

مزيـدا من الجـرائم ...
ومزيدا من الإذلال !!!

أفيقوا أيها المسلمون :

*** قبل أن تصبحوا مواطنين من الدرجة الثالثة ..**
*** قبل أن ترفعوا الأيدى ، وتنكسوا الرؤوس ..**
*** قبل أن تُسْبَى نساؤكم وذراريكم ..**
*** قبل أن تصيروا عبيداً أرقاء ..**
*** قبل أن تَشْوى السياطُ ظهوركم أثناء تشغيلكم ..**
*** قبل أن تدفعوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون ..**
*** قبل أن يرغمكم اللَّحّاد على حفر قبوركم بأيديكم ..**
*** قبل كل هذا .. عودوا إلى بارئكم !!**

هذه العبارات هزت مشاعرى .. وهدهدت أعصابى .. وجهها من القلب صرخات مكبوتة إلى المسلمين الأخ المسلم المجاهد : أسعد سيد أحمد ـ صاحب « دار الأنصار » للنشر والتوزيع ـ رحمه الله ـ من خلال تقديمه لكتاب :

« أفيقوا أيها المسلمون .. قبل أن تدفعوا الجزية »

لأخى الداعية المخلص والكاتب الإسلامى المعروف : الدكتور عبد الودود شلبى ..

العبارات الموجهة كانت منذ ثلاثة عشر عاماً .. وأكرم الله الفقيد [أسعد سيد أحمد] فرحل إلى ربه قبل أن يرى بعينيه ، ويسمع بأذنيه أن ما حذر منه حدث وأكثر منه .. وكأنما كان يحاول أن يُسْمِعَ الصُّمَّ ، أو يحرك الجماد !!

والكلمات الأخيرة كانت من مقدمة الدكتور عبد الودود شلبى :

« إنها دعوة للحفاظ على ما تبقى للمسلمين فى عالم السرقة والنهب .. ونفير يصك آذان النيام والغافلين ليفيقوا قبل أن يتحولوا إلى غنائم حرب » !!

هذا وقد أمد الله فى حياة الكاتب الدكتور عبد الودود شلبى حتى رأى بعينيه ، وسمع بأذنيه أن المسلمين ـ فعلاً ـ قد تحولوا إلى غنائم حرب .. وبلا أدنى حقوق .. وكأنما كلماته أو صرخاته كانت موجهة إلى الموتى فى القبور !!

ولا يتسع المقام هنا لكى نقوم بعملية إحصاء للجرائم البشعة التى ارتكبت ولا تزال ترتكب فى هذه الأمة على أيدى أعداء تجاوزوا الحد الأقصى من الهمجية والبربرية والخسة والنذالة .. بل والاستخفاف بأمة أربت على المليار من البشر ، الذين أصبحوا وكأنهم غثاء كغثاء السيل .. وإنما يتسع المقام هنا ـ وحسب ـ إلى أن نؤكد أن الأمة المسلمة تواجه مزيداً من ارتكاب الجرائم فى حقها .. مزيداً .. كمّاً وكيفاً .. أفقياً ورأسياً .. وفى نفس الوقت تقابل هذه الأمة الغائبة عن وعيها بقبول المزيد من الإذلال المادى والنفسى معاً !! .

فى سورة الأنفال هذه الآية الكريمة :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ... ﴾ [الأنفال الآية ٦٠] .

ولا داعى لأن نتساءل فى أسى مرير : أين نحن اليوم من هذه الدعوة العملية التى وردت فى الآية الكريمة ؟ لأننا نبذناها وراء ظهورنا منذ أمد بعيد .. منذ أن أصبحنا نمارس الفرّ لا الكرّ .. والتقهقر لا الزحف .. إن الآية التالية لهذه الآية مباشرة تقول :

﴿ وإن جنحوا للسَّلْم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾ [الأنفال : ٦١].

ويلاحظ أن قبول السلم مع الأعداء يجب أن يسبقه إعداد القوة لكى يمثل هذا السلم لدينا صورة من صور العزة .. أما أن نقبل السلم بعد تقبلنا بصدور رحبة الاعتداء علينا ، والهزائم التى لحقت بنا .. فإن السلم هنا لا يمثل إلا صورة من صور المهانة والإذلال !! .

وإذا كانت معاهدة كامب ديفيد قد وُقِّعَتْ لكى تكون بداية مراحل الإذلال .. فإن اتفاقية : « غزة / أريحا » التى تمت فى الظلام قد وقِّعَتْ لكى تكون قمة الإذلال المهين .. وإذا كان السادات « أخطبوط الكامب » قد أثبت أنه [بهلوان سياسى هاو] .. فإن ياسر عرفات أخطبوط « أريحا / غزة » قد أثبت هو الآخر أنه [بهلوان سياسى محترف] وقد جمع بينهما أن كليهما أدى ألعابه البلهوانية فى « سرك المؤامرة على العروبة والإسلام » !!.

فى كتاب : « أريحا المدينة الملعونة » الذى صدر أخيراً عن دار الاعتصام جاء فى مقدمة أخى الأستاذ حسن عاشور مدير تحرير مجلة الاعتصام المغيبة هذه العبارات :

« **أما لماذا وقع اختيار إسرائيل لياسر عرفات ؛ ليتمتع بالحصانة الأمنية الإسرائيلية الكاملة** ـ يعنى الكاتب أن عرفات لم يكن فى قائمة بعض الفلسطينيين الذين قررت إسرائيل تصفيتهم جسدياً ـ **فإن شخصية عرفات شخصية فريدة من تلك النوعية التى يمكن أن تؤدى أكثر من دور فى آن واحد ، وهو بهذا ـ ومنذ اشتغل بالقضية الفلسطينية ـ يلعب على كل حبال الفصائل الفلسطينية .. فمن المعروف أن تيارات الفصائل الفلسطينية كلها تيارات متصارعة .. كل فصيل منها ينهج نهجاً معيناً ، ويتبع نظاماً حاكماً بعينه ، وكل منهم**

ينطلق من قاعدة تحددها إحدى العواصم العربية .. ولكن السيد ياسر عرفات كان أذكى من هؤلاء جميعاً .. فهو ينطلق من كل هذه العواصم ، ويتحرك على كل الجبهات ، ويصادق كل الزعامات ، ويقبض من كل الجهات .. لقد انبهر بجواهر لال نهرو فى الهند ، وكمال أتاتورك فى تركيا فأعلن دولته دولة علمانية وهو يتغنى بالقدس الشريف ..

ورأى عرفات أن يغلق باب الفتنة الطائفية فتزوج مسيحية ..

ورأى أن لا يفرق بين الأديان فطالب بأن يدفن المسلم مع النصرانى فى مقبرة واحدة .. فكلهم فى نظره شهداء ..

ورأى أن يجامل الزعماء الحمر من أصحاب الفضل والمنة فرفع شعار : « المنجل والمطرقة » حتى يكون فى عداد الرفاق »!! .

إن ما ذكره أخى الأستاذ حسن عاشور عن ياسر عرفات قليل جداً من كثير جداً .. لكن ما ذكره ـ وبخاصة تأييده لروسيا فى غزوها أفغانستان ، وتنديده بالباكستان المسلمة لمناصرتها المجاهدين الأفغان .. ما ذكره كفيل بأن يجرد عرفات وأمثاله من أن يكونوا أهلاً للأمانة .. بل هو وأمثاله ممن ابتليت بهم العروبة والإسلام ليضيفوا إليها مزيداً من الهوان والإذلال ، وليكونوا سبة فى تاريخهما !! .

وماذا بعد ؟!!

أقول :

إن الجرائم التى ارتكبت فى حق هذه الأمة على أيدى البرابرة من آل صهيون، أو أتباع كارل ماركس، أو الذين يدّعون أنهم من أتباع المسيح ـ عليه السلام ـ أو من الهندوك ، أو من أتباع بوذا .. جرائم لا تحصى ، وتفوق فى ممارستها كل أساليب الهمجية ومحاكم التفتيش فى عصور الظلام !! .

ولكن الذى يثير كوامن الأسى المرير أننا لا نتوقف عند حدود القابلية للعدوان علينا ـ ونحن منكسو الرؤوس فى ذلة وهوان .. بل إننا لا نخجل أن نطلب لأنفسنا مزيداً من الإذلال والهوان حين نوادُّ أعداءنا ، ونصافح أيديهم الملوثة بدماء الأبرياء من إخواننا فى العروبة والإسلام .. وكأننا لم نقرأ كتاب الله ـ عز وجل ـ أو قرأناه ثم نبذناه خلف ظهورنا .

وهكذا يتعقب كتاب الله هؤلاء الذين يعطون ولاءهم لأعداء الله وأعدائهم ، ويجعلهم والمنافقين سواء .. لأن الولاء الحق يجب أن يكون لله ولرسوله وللمؤمنين .. إلا أن هؤلاء المنافقين الذين يعتبرون اليوم وصمة عار فى جبين العروبة والإسلام يصمون آذانهم عن كتاب الله ، حرصاً منهم على تيجانهم ، وعروشهم ، ويتجاهلون عن عمد أنهم صنعوا لأنفسهم تيجاناً من الخيانة ، وعروشاً من الإذلال والمهانة !! .

إن هؤلاء المرضى من السادة والكبراء لم يقفوا عند حدود الرضى بالإذلال والمهانة لهم ولأمتهم .. بل تجاوزوا هذه الحدود إلى محاصرة الإسلام فى ديارهم .. لأنه يعريهم ويكشف عن سوءاتهم .. لقد صَدَّقوا وسائل إعلامهم وهيئات المنتفعين حولهم ..إلا أن كتاب الله يصك آذانهم :

فى سورة آل عمران الآية : ١٨٨ :

﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ﴾.

وفى سورة الكهف الآيات من ١٠٣ ـ ١٠٥ :

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾.

صدق الله العظيم

ونحن على يقين من أن وسائل الإعلام ملك خاص بالأنظمة .. إذن فهى مجرد أبواق صدئة لها ، لا إرادة لها .. ولكن هذا لا يحول دون أن تتهم .. وإن كان يحول دون تقديمها للمحاكمة القانونية ومحكمة التاريخ قائمة .. ولكن الرأى العام لم يصل بعد إلى مرحلة النضج السياسى ليمثل « الاتهام » أمام محكمة التاريخ !! .

ونستطيع أن نؤكد ـ ونحن مطمئنون ـ أن التوجيهات صدرت للتغطية على المجزرة الرهيبة عن طريق المزاحمة .. إلى جانب الكرة : مهرجانات فنية .. مناقشات ملتهبة بشأن مسلسل العائلة .. وقبل أن تجف دماء الشهداء كانت وسائل الإعلام تعد ـ مساهمة منها فى مؤامرة التغطية على المجزرة الرهيبة ـ كانت تعد وجبة إعلامية دسمة بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لهلاك المدعو عبد الحليم حافظ ـ الذى رحل إلى الدار الآخرة ومصر فى أشد الحاجة إلى « آهاته » و« تأوهاته » و « قبلاته الحارة » التى أربت على الخمسين لبطلة فيلم « **أبى فوق الشجرة** » ... إحدى مجلات المستنقع النتن أصدرت عدداً خاصاً عن ذكرى المغنى الذى هبط بأغانيه بمستوى أخلاق الشباب .. وهذه المجلة لم تنشر شيئاً يذكر عن مجزرة الحرم الإبراهيمى !! .

فى الخطاب الذى وجهه ـ عبد الناصر ـ فى عام ١٩٦١ إثر تأميم الصحافة إلى الصحفيين عند لقائه بهم .. سخر الزعيم منهم ومن مقالاتهم وكتاباتهم .. قال لهم :

« إن أغنية من عبد الحليم حافظ أو محمد عبد الوهاب تؤثر فى الشعب أكثر من مائة مقالة تكتبونها » .

وإذا كان الطاغية قد سخر من الصحفيين فإنه فى نفس الوقت أهان الشعب المصرى ووصمه بالبلاهة والتخلف وأكد ذلك فى خطابه بعد النكسة فى ٢٣ يوليو ١٩٦٧ حين ادعى أن آلاف الخطابات جاءته من الشعب تطالب بعودة الأغنية إلى الإذاعة والتلفاز .. أهذا هو الشعب

المصرى الذى لم تشغله كارثة الهزيمة فى ١٩٦٧ والتى حصدت عشرات الألوف من خيرة شباب مصر : ضباطاً وجنوداً .. وإنما كل ما شغله حرمانه من الأغانى أكثر من شهر واحد بقليل !!

وهكذا أراد السادة والكبراء لهذه الأمة أن تدع قافلة العدوان عليها تسير ثم تواصل هى اللهو والعبث .. من كان يتصور أن أحد زعماء الأمة وهو صدام حسين بعد أن دمر المنطقة العربية بأكملها ، وأدخلها فى حروب طاحنة أتت على الأخضر واليابس وأحرق منابع البترول فيها ، وقتل شبابها ورجالها وخرب اقتصادها كان قد أعد العدة للاحتفال بعيد ميلاده الذى أنفق فيه أكثر من خمسة وعشرين مليوناً من الدولارات؟!!.

* * *

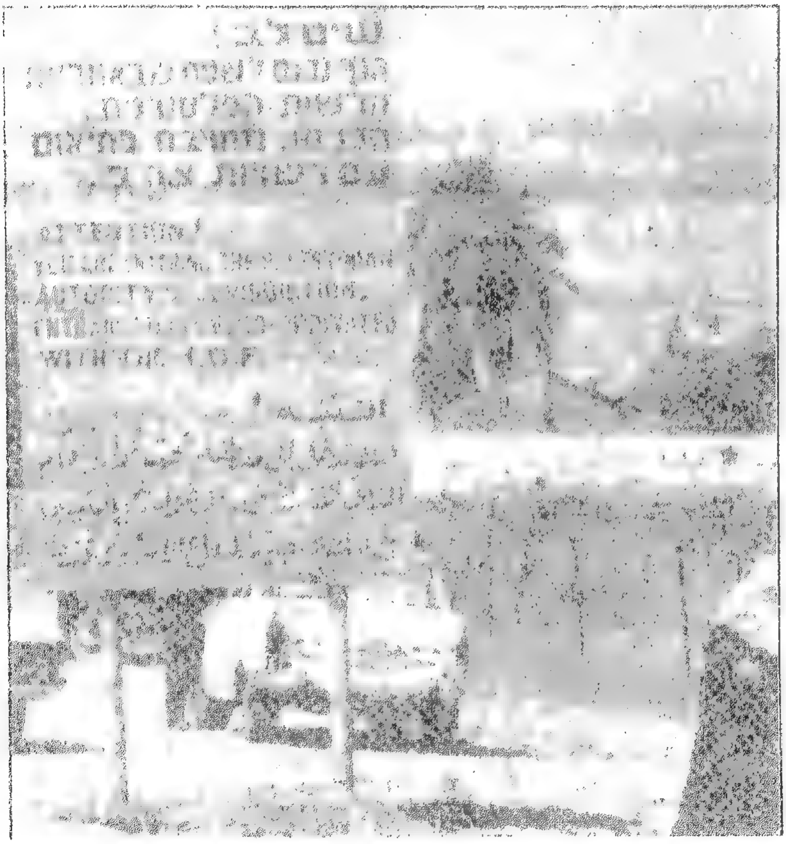

بدون تعليق

ياسر عرفات

السادات

وإذا كانت معاهدة الكامب قد وقعت لتكون بداية مراحل الإذلال .. فإن اتفاقية غزة / أريحا أولاً التى تمت فى الظـلام لكى تكون قـمـة الإذلال المهين .. وإذا كـان السـادات قـد أثبت أنه (بهلوان سياسى هاو) فإن ياسر عرفات قد أثبت هو الآخر أنه (بهلوان سياسى محترف)

حناجر عنترية .. وسيوف من ورق

هؤلاء هم العرب ـ على حقيقتهم المجردة ـ فى العصر الحديث منذ بدأ الاستعمار الأوربى الصليبى يغزو ديارهم .. حناجرهم من فولاذ .. وسيوفهم من ورق .. ورثوا من الجاهلية شر ما فيها : الصلف والعنجهية .. والغرور والمكابرة .. ولم يرثوا منها الشهامة والنجدة والذود عن الشرف والكرامة .. وفى بداية كارثة فلسطين الواقعية قال مفتى فلسطين للصحفيين : « تكلم السيف .. فاسكت أيها القلم » وعندما جد الجد ، وحزب الأمر لم يتكلم السيف كما ينبغى له أن يتكلم ، واتضح أن السيف ليس له صليل لأنه سيف من ورق لا حفيف له .. ولم يسكت القلم حتى لا يفقد هويته من الثرثرة فى غير طائل ، ولم يع العرب قول الشاعر أبى تمام : « السيف أصدق أنباء من الكتب .. » وذلك حين لبى الخليفة العباسى المعتصم صرخة امرأة مسلمة وقعت فى الأسر : «وامعتصماه !! » فسيّر جيشاً لنجدتها !!

وآلاف السبايا من المسلمات صرخن بأعلى أصواتهن فى البوسنة والهرسك : « واإسلاماه » وتلاشت صرخاتهن فى مهب الريح .. فالأمة المسلمة أصيبت بالصمم بعد أن تحولت إلى غثاء كغثاء السيل ، وأصيب قادتها وساستها بالبلاهة واللامبالاة بعد أن تحولوا إلى بهلوانات تسخر من عقولنا ، ونسخر نحن من سلوكها .. بعد أن تحولوا إلى تجار سياسة تقوم على رفع الشعارات البلهاء .. لمصالحها الذاتية المقام الأول .. وبعد أن أصبحت الشعوب العربية أو المسلمة مجرد دمىً تحركها الأنظمة الشمولية بأصبعها فلا تملك الدمى إلا أن تستجيب .. ومما يثير الأسى المرير أن السادة والكبراء أنفسهم هم ـ كذلك ـ دمى تحركها أصابع واشنطن ولندن وباريس !! .

يقول الدكتور مصطفى محمود فى « كتاب اليوم » الذى يصدر شهرياً عن دار الأخبار ، وموضوع هذا العدد : « المؤامرة الكبرى » :

« ورأيناها ـ يعنى الأيدى المتآمرة على الإسلام ـ تتخذ عميلاً مثل [صدام حسين] تدفعه إلى إنهاك العراق وإيران المسلمتين ، واستنزاف قواهما فى حرب عقيمة .. ثم تعود فتستدرجه إلى حرب عراقية كويتية تتخذ منها ذريعة للتدخل العالمى الشامل ، للقضاء على ما تبقى من الترسانة العراقية ، ولنهب الأموال العربية ، ولوضع النفط العربى تحت الاحتلال والوصاية » !!

« إن المجتمع الغربى الماكر ـ الحريص على إسرائيل حرصه على ابنه البكر ، ولإبعاد كل شبهة تآمر عن هذا الابن الضال ـ يخترع ـ دائماً أعداء جدداً يدفع بهم إلى المسرح يشغل بهم العرب .. وقد رأيناه يأخذ فى حضانته [صدام حسين] ويسلحه ويربيه ويدفعه على الكويت ؛ ليصنع حرباً بين الإخوة ، يستفيد بها لصالحه ويشغلنا بها عن العدو الحقيقى الذى يتربص بنا !! .

إننا نراه اليوم يحاول أن يشعلها حرباً عربية إيرانية يشغلنا بها ليستنفد أموالنا فى تسليح آخر ، يعود فيحطمه فى حرب أخرى إسلامية .. وثمرة ذلك الاستنزاف تكون كالعادة لصالح إسرائيل ، ولصالح الخزانة الأمريكية .. فإن لم يكن هذا ولا ذاك ، فلا أقل من نزاعات طائفية يشعلها هنا وهناك لاستنزاف قوانا !!

ونحن نسير كالدواب معصوبة الأعين إلى مصيرنا كل مرة .. لا نحاول أن نرفع عن عيوننا تلك العصابة ، ونستبصر طريقنا ، ولا نحاول أن نميز بين أصدقائنا وأعدائنا .. ولا أقول أكثر من هذا .. فالحقيقة واضحة كضوء النهار !! » انتهى كلام د. مصطفى محمود.

ونحن لا نملك أن نضيف إلى كلمات الدكتور مصطفى محمود سوى ما قاله الشاعر العربى من قبل :

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنـادى

إن الطريق واضح لا لبس فيه .. هل العرب والمسلمون .. أو بمعنى أدق : هل أنظمتنا نحن العرب والمسلمين مستعدة لأن تعيد ترتيب أوراقها بعد أن تتخلى ـ وهذا شرط أساسي ـ عن خناجرها العنترية ، وأبواقها الصدئة ، وشعاراتها الخاوية ، وتستبدل سيوفها الورقية بسيوف حقيقية ذات صدى ورنين .. وما هو أهم من ذلك أن تسترد أنظمتنا اعتبارها ، وأن تكون لها إرادتها المستقلة ، وأن تزيل الهوة السحيقة بينها وبين الشعوب ؟!! .

هذا هو السؤال المطروح .. فهل تستجيب أنظمتنا ؟!

فى كتاب الدكتور عبد الحليم عويس الجديد : « الدولة الحديثة بين الحقيقة والتزييف » الصادر عن « دار الصحوة » بالقاهرة ـ أثار المؤلف قضية ذات أهمية خاصة .. إنها قضية الفصل بين عقل الأمة وجسدها .. ويرى أن هذا الفصل المتعمد إنما يمثل العامل الرئيسى من عوامل التردى الذى يعايش أمتنا المعاصرة !! .

يقول فى المقدمة :

« إن هذه الرؤية محاولة موضوعية مخلصة لعبور [أزمة الدولة] التى وجدت نفسها فينا ، ووجدنا أنفسنا فيها فى هذا العصر الحديث .. ومع أننا فيها .. وهى ـ أيضاً ـ فينا فإن هناك انفصالاً كبيراً بيننا وبينها ، لدرجة أنها أصبحت مظلومة ظالمة ، وأصبحنا نحن كذلك مظلومين ظالمين .. فأحياناً يرفض الناس كل ما يصدر عن السلطة حتى لو كان بعضه حقاً .. وهم يرتابون حتى فى علماء الدين الذين يتعاملون معها حتى لو قالوا حقاً .. وأما السلطة فهى فى أحيان كثيرة لا تأبه بنا .. وهى تعرف أن وزيراً ، أو عدداً من الوزراء مكروهون منا ، يعملون ضد ثوابتنا ، ويهدمون قلاعنا .. ومع ذلك فهى تبقيهم

وتشجعهم على التطرف ضدنا .. بل إنها لتضع فى قمة الأهرامات الثقافية والفكرية أعداء حقيقيين لعقيدة الأمة وشريعتها وحضارتها ممن يعملون لصالح المشروع الثقافى الأمريكى .. الأوربى .. غير مبالية بمشاعرنا ولا مصالحنا .. وهكذا وقع الانفصال النفسى بيننا وبينها ، وأصبح الحب شذوذاً والشك قاعدة » .

ونقول :

إن الدكتور عبد الحليم وضع معظم النقاط على الحروف ، وعبر بذكاء عن أحاسيس الشعوب المسلمة المقهورة .. وهو يشير إلى أن هذه الأزمة قد استفحل خطرها ، وأصبحت السلطة تشبه جيش احتلال .. وأصبح الشعب عدواً للسلطة إلا فى الحدود التى تقتضيها المصلحة الضرورية .. ومثل هذا الرأى الجلى يجب أن يكون له اعتباره .. ولكن هذا الاعتبار الذى يجب أن يكون .. لمن ؟! .

هل لدى الشعوب المسلمة المقهورة التى أصابها اليأس القاتل الذى أصبح كالمرض المزمن الميئوس من شفائه .. وهذا اليأس لم يبدأ من فراغ ؟!

أم لدى السلطة التى أصبحت لا تبالى بالشعوب عندما تضعها على هامش الحياة بلا وجود أو كيان ؟

قد يبدو هناك سؤال ملح يفرض نفسه :

من المسئول عن هذا الانفصال النفسى بين الرعاة والرعايا ؟

ونقول فى أسى :

مما لا جدال فيه أن للقوى المعادية للإسلام أصابعها فى صنع هذا الانفصال النفسى .. ولكن يجب أن لا نلقى اللوم ـ كل اللوم ـ على هذه الأصابع التى لم تعد خفية تعمل فى الظلام .. وصحيح أن معظم اللوم ينبغى أن يقع على عاتق السادة الرعاة الذين استجابوا ـ مكرهين أو طائعين ـ لحركات هذه الأصابع .. لأنهم توهموا أن فى الانفصال

النفسى بينهم وبين شعوبهم سنداً لسلطاتهم ، يحفظ لهم مكانتهم فى القمة ما دامت الشعوب فى السفح .. صحيح هذا .. ولكن يجب أن لا نعفى الشعوب من المسئولية .. فقد أسهمت فى صنع الانفصال النفسى بسلبيتها .. وقد نجد من يدافع عن هذه الشعوب متعللاً بأنها مغلوبة على أمرها ، وماذا تفعل وبيد السلطة كل ألوان البطش بها ؟ أليست السلطة تلك الجيش .. والشرطة .. والمخابرات .. ثم وسائل الإعلام ؟!!

ونحن لا ننكر ذلك .. ولكن فى نفس الوقت نتجاهل شيئاً ذا بال هو أن الشعوب ركنت إلى التسلط عليها ، وهى لم تعد تفكر فى البذل والتضحية .. فى انتظار معجزة من السماء لتخليصها ، وتنسى أن زمن الخوارق قد مضى ، وحل محل هذه الخوارق سنن الله التى لن تجد لها تحويلاً أو تبديلاً :

ففى سورة الأنفال الآية ٥٣

﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴾ .

وفى سورة هود الآية ١١٣

﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾ .

وفى سورة العنكبوت الآية ٢ ، ٣ :

﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ .

ولنعد من حيث بدأنا ونقول :

إن الانفصال النفسى الذى أثار قضيته أخونا الدكتور عبد الحليم عويس إنما يمثل مركز الثقل فيما أصاب هذه الأمة من كوارث وهزائم

.. هزائم منكرة .. إن مجزرة المسجد الإبراهيمى فى منتصف رمضان الفائت جعلت بقية الأقنعة تتساقط عن وجوه الزعامات الخاوية التى برزت وتسلطت فى غفلة من الشعوب .

ألم تسقط الأقنعة من قبل ؟

أجل : وما أكثر ما سقطت .. بل منذ زهاء نصف قرن وهى تتساقط .. منذ أن اغتصبت فلسطين عصابة آل صهيون وارتكبت الدويلة التى ولدت من سفاح سلسلة من أبشع الجرائم فى أصحاب الأرض الشرعيين ، وغزت لبنان ، واحتلت الجزء الجنوبى منه ، وعجز الجيش السورى هناك أن يفعل شيئاً ، ودمرت الطائرات الإسرائيلية المفاعل الذرى العراقى ، وأغارت على مخيمات الفلسطينيين فى قلب العاصمة « تونس » وطردت إسرائيل أكثر من أربعمائة فلسطينى من أرضهم وألجأتهم إلى الإقامة الجبرية فى جنوبى لبنان وسط الصقيع والثلوج والبرد القارس !! .

وتساقطت الأقنعة عندما شنت حروب الإبادة على المسلمين فى البوسنة والهرسك .. والفلبين .. وبورما .. والهند .. وكشمير .. وبلغاريا .. ولم نفعل شيئاً .. وعندما تركنا الحرب الجاهلية بين دولتين مسلمتين: إيران والعراق تسفك دماء أكثر من مليون مسلم ..

وعندما تركنا الحرب الأهلية فى تشاد .. وفى الصومال تسفك دماء مئات الألوف من المسلمين الأبرياء ، وتدمر كل شىء .. ولم نفعل شيئاً !! .

ولكن لمجزرة المسجد الإبراهيمى مغزى آخر :

كانت فرصة لم نغتنمها ـ والرأى العام العالمى قد وتّرت أعصابه الجريمة البشعة .. كان أقل ما نفعله هو وقف المفاوضات من جانبنا

حتى ترد إسرائيل الأرض المغتصبة إلى أصحابها ، وتعيد اللاجئين المشردين إلى ديارهم ، وترحل عن لبنان والجولان ، وتدع القدس عربية خالصة .. لكن أصحاب التيجان التى تساقطت ، والأقنعة التى انتزعت لتكشف عن أسوأ الوجوه ، وأتخم العقول .. لكنهم قبلوا التفاوض بأمر من واشنطن يحمل طابع التهديد والوعيد .. لأنهم أشربوا الإذلال فى نفوسهم ، والإهانة فى قلوبهم .. حسبهم أن تبقى لهم عروشهم المهترئة ، وحناجرهم العنترية ، وسيوفهم الورقية !! .

وحتى نكون منصفين .. نقول :

إن الحناجر العنترية هى لازمة لإذعات أصحاب التيجان ـ عسكريين كانوا أم مدنيين ـ أما السيوف الورقية ـ بلا حفيف ـ فهى المعدة وحسب لأعداء الأمة المسلمة .. إلا أن هناك سيوفاً حديدية أخرى لها صليل .. وهى معدة لإرهاب الشعوب ، من ناحية .. ومن ناحية أخرى لكى يقاتل بها العربى أخاه العربى ، والمسلم أخاه المسلم !! .

ويجب أن لا ننسى :

أن سائر الانقلابات العسكرية فى ديار العروبة والإسلام كانت شؤماً على الأمة .. وقد أسهمت هذه الانقلابات العسكرية إسهاماً كبيراً فى عملية الانفصال النفسى بين السلطة والشعب من جهة ، والانفصال بين عقل الأمة وجسدها من جهة أخرى ـ كما يرى الدكتور عبد الحليم عويس .. وعقل الأمة هنا هم الخبراء والعلماء والمفكرون .. أما جسد الأمة فهى الحكومات ومؤسساتها :

« إن العبقرية الاستعمارية نجحت نجاحاً ساحقاً فى الفصل بين عقل الأمة الذى هو : الدعاة والعلماء ، والخبراء ، والمنظرون ، وأساتذة التاريخ والحضارة ، وفلاسفة السياسة والاجتماع البشرى .. وجسد الأمة الذى هو : الحكومة بمؤسساتها المختلفة والشعب المحكوم .. إن عقل الأمة

يعمل فى المساجد والمدارس والجامعات وبعض الصحف .. لكن [جسد الأمة] لا تربطه به أية جسور عملية .. » .

ويضيف الدكتور عبد الحليم عويس :

« فعقل الأمة ـ فى الحقيقة ـ هو الذى يحكم فى الدولة المتقدمة، وعقل الأمة مشلول مبعد محكوم .. بل مقهور فى الدولة الإسلامية .. بل إن بعض الدول « المنتحرة » تعمل على بلبلة عقل أمتها وشعبها .. فهى تأتى بقيادات تنتمى إليها هى ـ أى إلى الجسد ـ لتكفيها تبعة أية محاولة يقوم بها عقل الأمة فى اتجاه الحركة .. وفى بعض العهود الثورية القهرية كان الأمر صريحاً وواضحاً .. فقد كان يعين وزراء الأوقاف والتربية ، ورؤساء الجامعات من أهل الانتماء إلى صميم جسد الأمة الذى لا يشعر بأدنى حاجة إلى عقل الأمة .. وكان أقصى نجاحه : أن يجعل الأمة فى حالة سكون » .

الفجوة السحيقة بين القادة والشعوب :

وأعتقد أننا لسنا فى حاجة إلى مزيد من القول إلا فى حدود كلمات :

إذا كانت الفجوة السحيقة بين القادة والشعوب .. وإذا كان الانفصال العملى بين عقل الأمة ممثلاً فى قادة الفكر ، وجسد الأمة ممثلاً فى أنظمة الحكم .. أصل النكسة التى تعيش أمتنا بين أحضانها ، فإن الحل الأوحد ليس له إلا طريقان اثنان ولا ثالث لهما :

أولاً : أن تثوب الأنظمة إلى رشدها ، وترد إلى العقل اعتباره ، وهذا شبه محال .. فالأنظمة التى مردت على « التسلط » حتى استمرأته ليس من السهل عليها أن تتنازل من عليائها .

ثانياً : أن تتاح الفرصة للعقل حتى يتمكن من إيقاظ الشعوب من

سباتها العميق ، لتتولى بنفسها استرداد اعتبارها ، مع شيء من البذل والتضحية !! .

ويجب أن نتنبه إلى أمرين رئيسيين :

أولهما : أن أنظمتنا كلها تستند فى تسلطها إلى القوى المعادية للإسلام ، وضحت بكل إرادتها من أجل بقائها فى السلطة !! .

ثانيهما : أن أنظمتنا كلها شمولية قهرية .. فهى إما نظم عسكرية النشأة والتفكير والسلوك .. وإما نظم مدنية النشأة ، عسكرية العقل والتفكير والسلوك !! .

وهذا وذاك يجعل الخروج من النكسة أمراً صعباً بعيد المنال .. وأذكر أن الدكتور أستاذ الفلسفة ـ عبد الرحمن بدوى ـ الذى هجر مصر إلى باريس أستاذاً فى جامعتها قال منذ شهور ـ فى حوار معه نشرته جريدة الوفد القاهرية :

« مصر قد فقدت عقلها ابتداء من ٢٣ يوليو ١٩٥٢م ـ يعنى قيام الانقلاب العسكرى ـ ولن أعود حتى تسترد مصر عقلها .. وهيهات !! » .

والله وحده يعلم إلى متى تعيش هذه الأمة نكستها .. وهيهات أن يلتحم عقلها مع جسدها ؟ ويختفى عمالقة يعدون فى الأقزام !! .

* * *

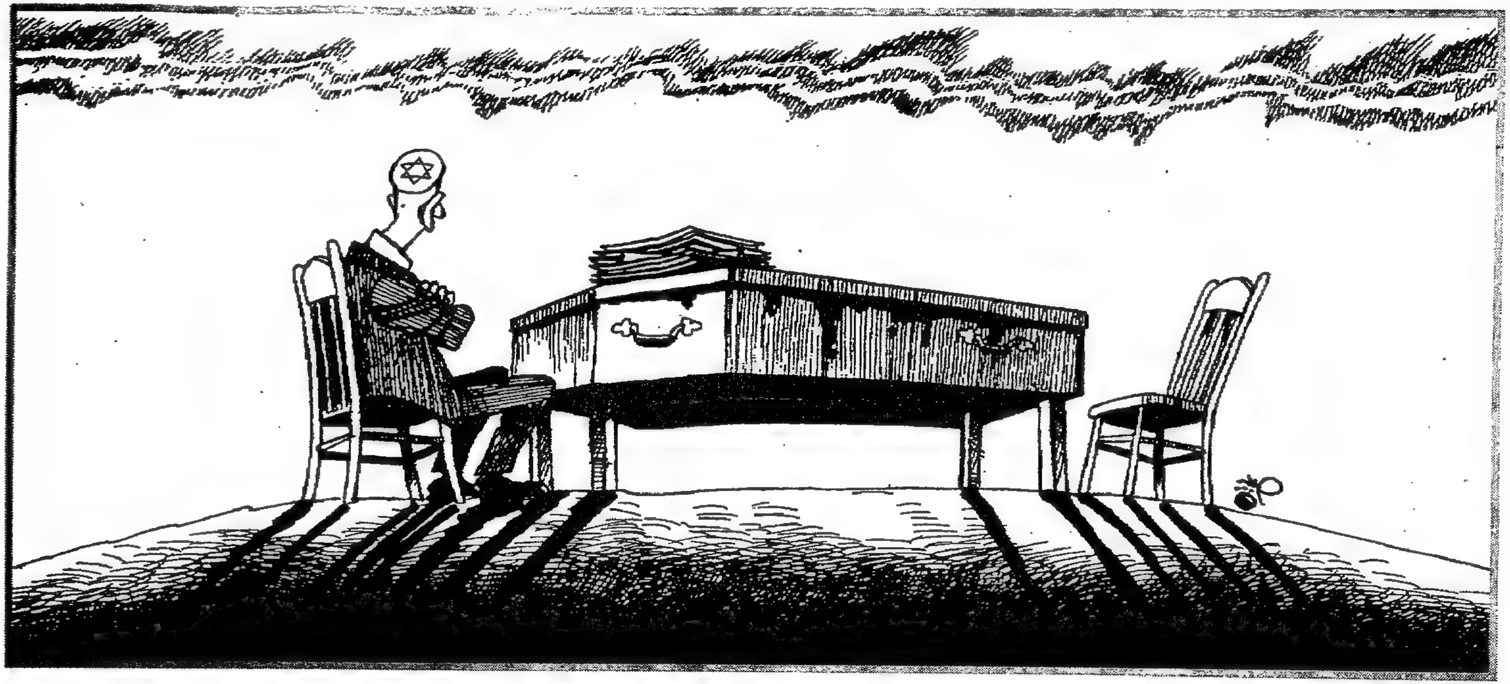

بدون تعليق

المأساة
بلا رتوش

* مازلنا نجهل أعداءنا ...
* الجريمة والصدى ...
* نحن نحرث فى البحر ...

مازلنا نجهل أعداءنا

أجل : مازلنا نجهل أعدى أعدائنا بنى صهيون .. تاريخاً وحاضراً .

ليس هذا وحسب .. بل ما هو شر من ذلك أننا لا نتعامل مع هؤلاء الأعداء إلا بالقدر الضئيل الذى نعرفه عنهم !! .

ماذا نقول أكثر من كتاب الله عز وجل الذى تولى كشف سوأة هؤلاء الأعداء :

فى سورة البقرة الآية ٦١ :

﴿ .. وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ .

وفى السورة نفسها الآيتان ٦٥ ، ٦٦ :

﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين * فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ .

وفى السورة نفسها الآية ٧٩ :

﴿ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون ﴾ .

وفى سورة المائدة الآية ٤١ :

﴿ .. ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا

فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ .

وفى السورة نفسها الآيات من ٧٨ ـ ٨٠ :

﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون * ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ﴾ .

فى كتاب عن « أدولف هتلر » للدكتور [لويس ل. سنيدر] قال هتلر :

« لو تمكن اليهود من العالم بمساعدة الأفكار الماركسية ستكون نتيجة ذلك خراب الدنيا .. لذا أخذت عهداً مع الله ـ عز وجل ـ أن أهب نفسى جهاداً ضد اليهود ، وقتالاً فى سبيل الله ضدهم » !! .

فهل يلام هتلر على وصف اليهود بأنهم فئران قذرة ، وجراثيم طفيلية ، وحشرات ماصة للدماء ، وظالمون عتاة ؟!! .

وهذه وقفات سريعة فى كتاب الفيلسوف الفرنسى المسلم : روجيه جارودى « ملف إسرائيل » وهو دراسة جليلة القدر للصهيونية السياسية :

يرى العلامة أن مبتدع الصهيونية السياسية هو تيودور هرتزل [١٨٦٠ ـ ١٩٠٤م] بدأ صياغة مذهبها فى فيينا ـ النمسا ـ عام ١٨٨٢ ، ثم انتهى من إرساء نظامها عام ١٨٩٤م فى كتابه « الدولة اليهودية » وبدأ فى وضعها موضع التنفيذ فى أول مؤتمر صهيونى عقد بمدينة « بال » بسويسرا عام ١٨٩٧م .

« إن معاداة اليهودية ترجع إلى أصل مسيحى ، وهى من

مخلفات الفكر القسطنطيني ، وقد استمر هذا العداء من القرن الرابع الميلادى إلى منتصف القرن التاسع عشر .. وبرغم هذا نجد اليوم أن المسيحية هى أهم حليف للصهيونية الآثمة .. ولا عجب .. فالكفر ملة واحدة » .

لو فرضنا ـ جدلاً ـ كما يذكر العلامة جارودى أن الحل الوحيد هو إنشاء « دولة صهيونية » فما كان أحد ليعترض مثلاً على منح من بقى منهم على قيد الحياة ـ بعد المذابح الهتلرية ـ أرضاً فى ألمانيا ذاتها لتقام عليها دولة مستقلة تماماً ، وبأحوال الأوربيين الذين شاركوا الجريمة النازية أو تواطأوا معها .. إن القتل الجماعى الذى ارتكب ضد اليهود هو أمر يتعلق بالتاريخ الأوربى ، وعار يلحق بالنازيين ، ومحاولة التكفير عن ذلك على حساب العرب الذين لم تكن لهم صلة بالموضوع ـ هو محاولة استعمارية تماماً يريدون إخفاءها باختراع أسطورة عن الاستمرار التاريخى بين إسرائيل القديمة ودولة إسرائيل الحالية .. وقد ثبت أن هذه النظرية نظرية خرافية .. إنهم يبررون إنشاء دولة إسرائيل على أرض سرقوها من العرب .

* * *

ويبدو أن أمتنا قد استمرأت أن تظل فى غيبوبة لا تحاول أن تفيق منها ، لكى تدرك ما يراد بنا ، وما تخطط له إسرائيل بمساندة الغرب الصليبى الذى تقوده أمريكا حتى تحقق مطامعها !! .

لقد كتب [يوسف فايتز] مدير الصندوق اليهودى ـ المكلف بالاستيلاء على أراضى فلسطين ـ كتب فى عام ١٩٤٠م يقول :

« يجب أن يكون واضحاً لنا أنه ليس هناك مكان لشعبين فى هذا البلد .. وإذا ترك العرب البلاد فإنها تكفينا لنعيش بها .. وليس هناك وسيلة أخرى ، فلا بد من إخراجهم .. ولا يصح أن نبقى قرية واحدة لهم أو قبيلة واحدة منهم .. ويجب أن نوضح لروزفلت أو لكل

رؤساء الدول الصديقة أن أرض إسرائيل ليست صغيرة إذا خرج كل العـرب منها .. وإذا ما وُسّعت الحدود قليلاً نحو الشمال على طول [الليطانى] ونحو الشرق على مرتفعات الجولان » .

إن هذه الغيبوبة التى نعيشها نحن ـ العرب والمسلمين ـ يبدو أنها من النوع المزمن الذى يصعب الإفاقة منها .. إننا ما نزال نجهل ـ أو نتجاهل ـ أن سياسة بنى صهيون ليست مجرد نوايا فى مكنون الضمير .. بل ما أكثر ما تطفو على السطح من خلال تصريحات زعمائهم .. والمطلوب منا : ألا نرى .. ألا نسمع .. ألا نفكر .. لقد صرح (الجنرال غازيت) رئيس (جامعة بير سبع) فى ١٥ ينـاير ١٩٨٢ فى صحيفـة (يديعوت أحرونوت) بقوله :

« الحل هو طرد العرب من فلسطين ، ومن الخارج ، والعمل على تفتيت البلدان العربية ، وهما شِقّا المشروع الإسرائيلى » .

ومثل هذا المشروع تبنته المنظمة العالمية الصهيونية بالقدس ، ونشر نصه بعد شهر من تصريح الجنرال غازيت .

ويرى العلامة جارودى أن فى هذا النص كشفاً واضحاً للأساليب التى تنوى إسرائيل اتباعـها من أجل التدخل المنظم والعام ضد أنظمة الحكم فى جميع البلدان العربية بغية تفكيكها وتفتيتها مما يتجاوز نطاق كل الاعتداءات السابقة .

ومشروع بمثل هذه الضخامة كما يرى جارودى تؤيده الولايات المتحدة الأمريكية تأييداً غير مشروط ، وغير محدود سيؤدى ـ ولا شك ـ إلى انتفاضة خطيرة .. ليس من جانب الدول العربية والإسلامية ـ فحسب ـ ولا من جانب مجموع بلدان العالم الثالث .. ولكن من جانب الاتحاد السوفيتى الذى لا يستطيع أن يقف مكتوف اليدين ، ولا يتدخل فى مثل هذه العملية .

ويورد جارودى بعض فقرات المشروع كما جاء فى المقال الصادر عن المنظمة الصهيونية ، والذى يكشف عن آفاق المستقبل بالنسبة للحلم المغرق فى القدم .. حلم : إسرائيل الكبرى وينحصرفى :

* استعادة سيناء بثرواتها ذو أولوية .. ولكن اتفاقات [كامب ديفيد] تحول الآن بيننا وبين ذلك .. لقد حرمنا من البترول وعائداته ، واضطررنا للتضحية بأموال كثيرة فى هذا المجال ، ويتحتم علينا الآن استرجاع الوضع الذى كان سائداً فى سيناء قبل زيارة السادات المشئومة ، وقبل الاتفاقية التى وقعت معه فى عام ١٩٧٧م .

* الوضع الاقتصادى فى مصر ، وطبيعة النظام الموجود بها ، وسياستها العربية .. كل هذا سيؤدى إلى مجموعة ظروف تدفع بإسرائيل إلى التدخل .. فمصر بسبب نزاعاتها الداخلية لم تعد تشكل بالنسبة إلينا مشكلة استراتيجية ، ومن السهل أن نجعلها تعود خلال أربع وعشرين ساعة إلى الوضع الذى كانت عليه بعد حرب يونيو ١٩٦٧م .. لقد ماتت أسطورة [مصر زعيمة العالم العربى] .

* وكبناء موحد أصبحت مصر جثة هامدة .. وبخاصة إذا أخذنا فى الاعتبار أن هدفنا المجابهة المتزايدة والمتصاعدة بين المسلمين والمسيحيين بها ، ويجب أن يكون هدفنا هو تقسيمها إلى أقاليم جغرافية متباينة !! .

والكلام لا يزال موصولاً :

فإذا ما تمت تجزئة مصر .. وإذا فقدت سلطتها المركزية فلن تلبث بلدان مثل ليبيا والسودان ، وبلدان أخرى أبعد من ذلك أن يصيبها التحلل .. وتشكيل حكومة قبطية فى مصر العليا ، وإقامة كيانات صغيرة إقليمية هو مفتاح تطور تاريخ يؤخره حالياً اتفاق السلام .. ولكنه تَطَوُّر آتٍ لا محالة على الأجل الطويل .

* ومشكلات الجبهة الشرقية أكثر وأشد تعقيداً من مشكلات الجبهة الغربية .. وتقسيم لبنان إلى خمسة أقاليم .. يوضح ما يجب

أن ينفذ في البلدان العربية .. وتفتيت العراق وسوريا إلى مناطق تحدد على أساس عنصرى دينى يجب أن يكون هدفاً ذا أولوية بالنسبة إلينا على الأجل الطويل .. وأول خطوة لتحقيق ذلك هو تدمير القوة العسكرية لتلك الدول .. وشبه الجزيرة العربية بأسرها مهيأ لهذا .

*** والأردن هدف استراتيجى فى التوِّ واللحظة .. ويجب أن يفهم العرب الإسرائيليون ـ أى الفلسطينيين ـ أنه لا يمكن أن يكون لهم وطن إلا فى الأردن .. ولن يعرفوا الأمن إلا بالاعتراف بالسيادة اليهودية على كل ما يقع بين البحر ونهر الأردن » انتهى .**

إذا كان الساسة العرب الأشاوس لم يقرأوا مثل هذا الكلام فتلك مصيبة .. وإن كانوا قد قرأوه فالمصيبة أعظم .. ولا ريب فى أن الجهل رزية .. ولكن التجاهل هو رزية الرزايا .. ونحن لا ننسى ـ بالطبع ـ أن الزعماء العرب يستوى لديهم الجهل والتجاهل بعد أن تحولوا إلى أدوات بلا إرادة ، وأبواق بلا تفكير .. والأدوات لا تتحرك ، والأبواق لا تنطلق إلا بإرادة واشنطن .. وهذه هى الحقيقة المجردة من أية رتوش .. أما وسائل إعلامهم التى تضيق بالكشف عن هذه الحقيقة المريرة فقد أصبحت مهمتها قاصرة على إضفاء صفات البطولة الكاذبة والأمجاد الزائفة على هبل .. واللات .. والعزى !!" ..

ليس هناك أدنى ذرة من الشك فى أن أمريكا اليوم تمثل قمة العداوة للإسلام وشعوبه العربية والأعجمية على السواء .. وبالرغم من أمريكا لم يكن لها وجود يذكر أيام الحروب الصليبية .. إلا أنها أصبحت تتفوق فى اجترار أحقادها على أوربا التى شنت تلك الحروب الشرسة .. إن انحياز أمريكا إلى جانب إسرائيل ليس فى حاجة إلى بيان !! .

يقول جارودى :

« كل التجهيزات الحربية ـ تقريباً ـ فى الجيش الإسرائيلى قد تم الحصول عليها بموجب برنامج المساعدات العسكرية الأمريكية

للخارج ، وحصلت إسرائيل ـ وحدها ـ على خمسة عشر مليار دولار من ثمانية وعشرين مليار دولار وزعت على العالم بأسره منذ عام ١٩٥١م .. ومن بين (٥٦٧ طائرة) التى كانت لدى إسرائيل عشية الغزوة اللبنانية كان منها (٤٥٧ طائرة) اشتريت من الولايات المتحدة بقروض أو منح مقدمة من واشنطن » !! .

ثم يقول جارودى :

« والتعاون الوثيق بين الجيشين : الأمريكى والإسرائيلى وبين صناعة السلاح فى البلدين يجعل أى مشروع لاتخاذ عقوبات ضد إسرائيل أمراً غير مرغوب » .

إن من الغباء السياسى الذى نتمتع به نحن أن نظل نردد أن إسرائيل ذيل لأمريكا .. بينما الحقيقة أن أمريكا اليوم ذيل لإسرائيل .. وبخاصة أن وقاحة بنى صهيون تكشف عن ذلك .. فإثر إعلان إسرائيل ضمها للجولان السورية صدرت عن الرئيس الأمريكى ريجان بعض المآخذ الشفهية .. فسارع بيجن رئيس الوزراء يومئذ وأرسل إلى سفير الولايات المتحدة مذكرة جاء فيها :

« مرة أخرى تعلنون عن نيتكم فى معاقبة إسرائيل .. هل إسرائيل بلد تابع لأمريكا ؟!! هل نحن من جمهوريات البلدان منتجة الموز ؟!! لن تستطيعوا إرهابنا .. وسنصم آذاننا عن الاستماع إلى تهديدات أى شخص كائناً من كان .. لقد عاش شعب إسرائيل ٣٧٠٠ سنة دون أن يكون بينه وبين أمريكا أية اتفاقيات وسيستمر غير معتمد على مثل تلك الاتفاقيات ٣٧٠٠ سنة أخرى » !!

ويعقب العلامة الفرنسى المسلم جارودى على ذلك فيقول :

« وليس لهذه الوقاحة من جانب بيجن أى خطر على إسرائيل .. لأن السياسة الصهيونية الإسرائيلية مطابقة تماماً لأهداف الولايات المتحدة العالمية ، ولها دور فيها لا يمكن لغيرها أن يؤديه بحيث أن إسرائيل على ثقة أنها لن يصيبها أذى .. ولهذا فهى تقول ما تشاء وتفعل ما تشاء » !!.

ونضيف نحن أيضاً :

لقد دأبت أمريكا على الوقوف إلى جانب إسرائيل فى كل ـ
ترتكبها ضدنا مهما بلغت بشاعة هذه الجريمة ، وعلى خذلاننا ـ
أشد بشاعة من جرائم آل صهيون الذين لا يعرفون حدوداً لوقاحت
ففى جريدة الأهرام بتاريخ الخامس عشر من مارس الماضى : «
أمريكا يحذرون كلينتون ـ الرئيس الأمريكى ـ من الإشارة إلى القدس
قرار مجلس الأمن » ويشير العنوان إلى أن راديو إسرائيل ذكر أن ال
الأمريكى أبلغ قادة منظمة [إيباك] اليهودية الأمريكية أن الو
المتحدة تعتبر مدينة القدس الموحدة عاصمة إسرائيل ، وأوضح الراد
كلينتون قال ذلك رداً على سؤال لعضو بالمنظمة حول إمكانية
مجلس الأمن قراراً بشأن (مجزرة الخليل) يتضمن اعتبار القدس
من الأراضى المحتلة .. وأضاف : إن كلينتون يحرص على عدم ذك
القدس فى قرار المجلس واعتبارها جزءا من الأرض المحتلة وهذا ما
ـ فعلاً ـ كما أبلغ (ستيفن جروسمان) رئيس منظمة « الإيب
كلينتون تحذيراً من أن الموافقة على قرار من مجلس الأمن يتض
القدس سيزعج اليهود الأمريكيين !! .

هذا وقد أعلن « آل جور » نائب الرئيس الأمريكى فى ـ
بالمؤتمر السنوى لمنظمة « الإيباك » أن سياسة الولايات المتحدة
إسرائيل ـ هى حمايتها .. وبخاصة فى القضايا الحساسة مثل القد
وقال : إن الرئيس كلينتون يتولى معالجة إصدار قرار من مجلس
يدين مذبحة الخليل ، ويفتح الطريق ـ فى نفس الوقت ـ لاست
عملية السلام ، ويحافظ على سياسة أمريكا وتعاونها مع إسرائيل
أضاف : إن القرار سيتفق مع الموقف الأمريكى من القدس .

وكما توقع كلينتون فقد حدث ذلك بالضبط .. !! .

إن أمريكا لا تخجل أن تظهر للعالم بالوجه القبيح .. والأخلاق والمبادئ لدى أمريكا لا تساوى أكثر من مجموعة من الأصفار .. ولكن من جهة اليسار .. مصالحها لها المقام الأول ، وعلى حساب المبادئ والأخلاق .. وهى تسعى دائماً إلى تحقيق مصالحها بطريق مباشر أو غير مباشر دون مراعاة لأى اعتبارات أخرى غير مصالحها !! .

فى صبيحة المأساة ٢ من أغسطس ١٩٩٠ .. مأساة العدوان العراقى المجرم على الكويت . سألت صديقى الشيخ مصطفى عبد المحسن الذى يدير محل عرفة الكنفانى بميدان السيدة زينب عن رأيه فى المأساة .. وصديقى المخضرم يمثل رجل الشارع المثقف .. لا فى السياسة وحسب .. بل حتى فى أمور الفن والرياضة فهو قارئ متمرس لا يحتفى كثيراً بظواهر الأمور وينظر إلى الأمور بمنظار الحق والعدل والإنصاف .. قال :

« إنها لعبة أمريكية خططت لها أمريكا لمصلحتها .. أما دور (صدام) فهو دور الأداة .. ولا أكثر .. وفى النهاية ستنجح أمريكا فى استيلائها على المنطقة وسوف تحافظ على بقاء صدام شبحاً مرعباً للأنظمة .. وفى نفس الوقت تضطر الأنظمة إلى اللجوء إلى أمريكا لحمايتها منه !! » .

تذكرت هذه الكلمات وإذاعة لندن تذيع نبأ هبوط طائرة نيجيرية تحمل أسلحة إسرائيلية إلى أوغندة ـ ١٥ مارس ١٩٩٤ ـ وأنكرت دولة أوغندة علمها أو صلتها بهذه الطائرة .. قالت الإذاعة : إن الأسلحة مرسلة إلى أوغندة ، ومنها إلى متمردى الجنوب فى السودان .. وأمريكا هى التى أوعزت إلى إسرائيل بإرسال الأسلحة حتى لا تظهر أمريكا فى الصورة إذا ما اكتشف أمر هذه الأسلحة .. وهدف أمريكا هو إرهاق النظام السودانى الذى رفض الخضوع لأمريكا أو لشياطين الغرب الصليبى !! .

وفى سورة البقرة الآيتان ٩٢ ـ ٩٣ :

﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون * وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴾ .

هذا كتاب الله .. ومن أصدق من الله قيلاً .. يكشف عن سوءات بني صهيون ، ويبرز ـ في وضوح ـ سلوكياتهم التى تنم عن عقد نفسية مزمنة واكبت حياتهم منذ وجودهم فى الأرض رجساً من عمل الشيطان ، وستظل هذه العقد النفسية المزمنة تواكب حياتهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها .. وإن صفات النذالة والخسة والغدر ، وغيرها من الصفات الذميمة الوضيعة التى تلازمهم [حذو النعل بالنعل] تعتبر صفات بسيطة عادية إذا هى قيست بنزعتهم إلى سفك الدماء .

إن خطورة هذه النزعة التى تعتبر ـ بحق ـ جماع كل رذيلة وشر ، تكمن فى أنها عقيدة « توراتية » وبمعنى أدق « أسطورة توراتية » انبثقت عن فكرة « شعب الله المختار » يقول عنها الدكتور جارودى :

« إنها فكرة صبيانية من الناحية التاريخية .. فكل الشعوب قد عبرت فى الكتابات الصادرة منها عن ذلك الإحساس بأنها متميزة عن غيرها ، وتترجم ذلك بعبارة (الاختيار) وبأنها فكرة إجرامية من الناحية السياسية .. لأنها التى أضفت دائماً صفة القداسة على كل ألوان العدوان والتوسع » .

أما الفكرة من الناحية اللاهوتية ـ كما يذكر جارودى ـ فهى فكرة لا يمكن احتمالها .. لأن وجود « مختارين » معناه وجود « مبعدين » غير مرضى عنهم .. والاستعمار الصهيونى لا يشذ عن هذه القاعدة .. فهو ينكر وجود شعب فلسطين .. ابتداء من [دير ياسين] والبقية تأتى .. وصدق جارودى فى قوله : « والبقية تأتى » ولن تكون مجزرة الحرم

الإبراهيمى بالخليل نهاية هذه البقية ما دام العدو من طغام الخلق واثقاً من أننا مهيأون دائماً كلما اعتدى علينا ـ ولو بأبشع الجرائم وأشرسها وأنذلها ـ لأن ننكس رؤوسنا ، ونلعق جراحنا ، وأن سادتنا وكبراءنا هم أيضاً مهيأون دائماً للوقوف عند التصريحات الخاوية لمجرد الاستهلاك .. وليس أكثر من الاستهلاك !! .

وما يراه الفيلسوف ـ جارودى ـ يراه كذلك بعض مفكرى اليهود أنفسهم واسعى الأفق .. ينقل إلينا فيلسوفنا عن (ناثان فينستوك) من خلال مؤلفه الصادر عام ١٩٦٩م : [الصهيونية ضد إسرائيل] قوله :

« إذا كانت الجاهلية اليهودية تنجح فى إسرائيل .. فذلك لأن الفلسفة الصهيونية لا يمكن أن تقوم إلا بالاستناد إلى الدين الموسوى .. فإذا ألغينا مفهوم (الشعب المختار) وفكرة (أرض الميعاد) فإن أساس الصهيونية سينهار » .

وأكرر القول :

إذا كنا نجهل حقيقة أعدائنا فتلك مصيبة .. وإذا كنا نتجاهل حقيقتهم فالمصيبة أعظم .. ويبدو أننا نحن ـ العرب والمسلمين ـ إزاء فقداننا الذاكرة نجمع بين المصيبتين : نجهل ونتعمد أن نتجاهل .. فإذا أضفنا إلى ذلك أننا لا نقرأ التاريخ .. وإذا قرأناه لا نجيد قراءته .. وإذا أجدنا قراءته سرعان ما ننسى كانت المصيبة الأخيرة هذه شراً من سابقتها !!

نجهل ونتجاهل .. وننسى ونتناسى أننا إزاء عدو غاشم صيغ فى بوتقة من الأحقاد الدفينة ، والغدر البذئ .. لا اعتبار عنده للشرف ، ولا قيمة عنده للقيم .. لأن النفس حين تكتظ بالحقد لا يكون فيها أدنى مكان إلا لما هو أبشع منه .. فى صحيفة الأهرام الصادرة فى ١٢ /٣ / ١٩٩٤ ذكر الكاتب الأستاذ محمد عيسى الشرقاوى

أن جولدا مائير إبان رئاستها للوزارة قالت بانفعال شديد :

« تنتابنى الهواجس ، ويجتاحنى الذعر قبل نومى كل ليلة عندما أتخيل عدد الأطفال الفلسطينيين الذين سيولدون فى اليوم التالى » .

أما الحاخام كاهانا ـ الأب الروحى لباروخ جولدشتاين سفاح المسجد الإبراهيمى ـ فقد تفتق ذهنه عن حل يهدئ من روع سيدته العجوز حيث طالب بتعقيم الفلسطينيين .. لكنه أردف قائلاً : لا .. لن ننتظر .. علينا أن نطردهم أو نذبحهم » .

وفى تحقيق صحفى بجريدة الأهرام ١٩٩٤/٣/١٢م للكاتبة عزة سامى عن الخلايا السرية للجماعات اليهودية المتطرفة مما كشفت عنه صحيفة « الإكسبريس » الفرنسية فى تحقيق مفصل عن منظمات صهيونية تقول فيه :

« ... لقد أعادت المذبحة الأخيرة للأذهان مذبحة دير ياسين .. ومذبحة دير قاسم فى ٢٩ من أكتوبر ١٩٥٦م وواقعة المسجد الأقصى فى الثامن من أكتوبر ١٩٩٠م عندما اقتحمت جماعة يهودية متطرفة المسجد بهدف تدميره ، وإقامة هيكل سليمان .. وبدلاً من أن تتدخل قوات الاحتلال لحماية المصلين أخذت تطلق النار ، والقنابل المسيلة للدموع ، فسقط أكثر من عشرين قتيلاً من المصلين .. إن مذبحة الحرم الإبراهيمى فى الخامس والعشرين من فبراير الماضى ليست جريمة ارتكبها شخص مختل عقلياً ، أو مجنون ـ كما تدعى إسرائيل ، وكما هى عادتها كلما لحقت بالعرب الفلسطينيين كارثة على أيدى المتطرفين ـ .. فباروخ جولدشتاين مرتكب المذبحة : طبيب فيزيائى من أصل أمريكى ، هاجر إلى إسرائيل منذ أحد عشر عاماً ، وهو كولونيل سابق فى الجيش الإسرائيلى شارك فى غزو لبنان عام ١٩٨٤م .. كما أنه ينتمى للحزب الدينى المتطرف « كاخ » وقد تعرف بمؤسس الحزب : الحاخام اليهودى المتطرف [مائير كاهانا] الذى لقى مصرعه فى نيويورك عام ١٩٩٠م .. وذلك عندما كان سفاح الحرم الإبراهيمى يدرس فى

جامعة كولومبيا الأمريكية ، وأصبح فيما بعد أقرب أصدقائه ، وأكثر عملائه نشاطاً وتطرفاً !! .

وتطرقت الصحيفة الفرنسية إلى المنظمات الإرهابية ، فأشارت إلى أنها تتكون من خلايا يصل عدد أفرادها فى بعض الأحيان إلى خمسة آلاف شخص ، يقودهم عشرات من العناصر النشطة المؤثرة والمسئولة عن اتخاذ القرارات ، وتوزيع المهام الإرهابية ، والإشراف على تنفيذها ..

وقالت الصحيفة الفرنسية :

« ولكن يبدو أن ما أخرج الثعابين من جحورها ، وجعلها تعلن ـ صراحة وجهراً ـ الحرب على فرائسها هى : تلك التطورات الإيجابية التى شهدتها عملية السلام فى الفترة الأخيرة .. فهذه الجماعات الدينية اليهودية المتطرفة لم تتحمل فكرة تحطيم آمالها فى إبادة الشعب الفلسطيني ، وتدمير المسجد الأقصى ، والأماكن المقدسة الإسلامية ، وهى التى تُعِدّ ـ منذ زمن طويل ـ لحربها المقدسة !! » .

***

ونعود إلى دراسة الفيلسوف الفرنسى المسلم جارودى : « **ملف إسرائيل** » والذى صدر بالقاهرة عن [دار الشروق] فى عام ١٩٨٣م وقام بترجمته الدكتور مصطفى كامل فودة .. وروجيه جارودى الذى أسلم فى عام ١٩٨٢م بعد دراسة متأنية لحضارة الإسلام ، بعد أن ظل سنوات وسنوات من أبرز المفكرين الماركسيين فى آخر كتابه « ملف إسرائيل » دراسة تحليلية عن رموز الإرهاب فى ساسة إسرائيل عرض جارودى لرموز ثلاثة ، أو للثالوث الذى يتزعم السياسة الصهيونية الإسرائيلية ـ اليوم ـ ثالوث من مجرمى الحرب أفرزهم العدوان والإرهاب.

** المجرم الأول بيجين :

وقد وصفه بن جوريون ذاته بأنه هتلرى بمعنى الكلمة .. أعضاء

حزبه ينتمون إلى عصابة [الأرجون زفاى ليومى] تلك التى نفذت بقيادته مذبحة دير ياسين فى التاسع من أبريل عام ١٩٤٨م التى أتت على جميع سكان القرية .. هذا هو الرجل الدموى الذى ـ كما يقول جارودى ـ وقف غداة مذبحة صابرا وشاتيلا بلبنان .. تلك المذبحة التى تمت بفعله هو ووزير دفاعه ، وبفعل تلك الدُّمى من أمثال « صديقه سعد حداد » وقف أمام الحكومة وصاح قائلاً : « غير يهود قتلوا غير يهود .. وبعد ذلك يوجهون لنا الاتهام ؟؟ » .

* المجرم الثانى الجنرال آريل شارون :

آريل شارون هو الذى أصبح اليوم الرجل الثانى فى إسرائيل .. وهو جلاد لبنان ، وله ماض عريق أيضاً فى التعذيب والاضطهاد ، وهو الذى عهد إليه موشى ديان فى أغسطس عام ١٩٥٣م بمهمة إنشاء وقيادة « الوحدة ١٠١ » التى كلفت بأعمال انتقامية ضد القرى العربية على الحدود .. وذلك بغية نشر الرعب بين الأهالى العرب ، ودفعهم إلى الفرار .. وذلك ـ وفقاً ـ لأول ما تقضى به الصهيونية السياسية !! .

كان آريل شارون قائد الهجمة الشرسة فى أكتوبر ١٩٥٤م على قرية قبية الفلسطينية بالأردن ، وتم ذبح ستة وستين من الأهالى .. ثلاثة أرباعهم من النساء والأطفال .. وذكرت صحيفة « هاعولام » فى ٢٤ أغسطس عام ١٩٧٣م ما يلى : « فى حرب ١٩٦٧ كان الجيش الذى هاجم سيناء تحت قيادة شارون ، وهو المسئول ـ شخصياً ـ عن مصرع مئات من الجنود المصريين .. إذ رفض [السفاح] اعتبارهم أسرى حرب خلال الأيام الأخيرة للحرب .. لأن تعليمات [ديان] كانت تقضى بعدم الالتجاء إلى أسر الجنود المصريين فى سيناء ، وتأمر بإبادتهم » !! .

المجرم الثالث إسحق شامير :

وإذا لم نأخذ من ماضي الرجل ـ كما يذكر جارودى ـ إلا بما يتعلق بعلاقاته مع الدول الأخرى ، والمنظمات الدولية لوجدناه مثقلاً بالآثام .. فتاريخه كله مفعم بالعنصرية .

ولقد كان شامير أحد الزعماء الثلاثة فى عصابة « شترن » الإرهابية، وكان الرأس المدبر لاغتيال الوزير الإنجليزى للشرق الأوسط بالقاهرة (اللورد موين) وكذلك تم قتل الوسيط الدولى (الكونت برنادوت) فى القدس فى ١٧ سبتمبر ١٩٤٨م .

وفى تعقيب للفيلسوف المسلم جارودى :

« ذلك هو ثالوث مجرمى الحرب الذى يحكم إسرائيل « اليوم » ومن السذاجة الاعتقاد بأن تغيير هؤلاء الأشخاص واستبدالهم بغيرهم ممن يختلفون عنهم شكلاً قد يؤدى إلى حل المشاكل .. فليس العيب فى الأشخاص .. ولكن العيب فى العقيدة ذاتها : (عقيدة الصهيونية السياسية) التى بالغوا فيها ودفعوا بها إلى آخر حدودها .. إن البربرية حتى لو تخفت تحت قناع إنسانى لا يمكن أن تنكر حقيقتها .. وتبقى بربرية بمعنى الكلمة » .

ويتساءل جارودى فى أسى :

« أكان بيريز أكثر إنسانية مع الفلسطينيين عندما أظهر فى الكنيست سخطه على المسئولين من رجال الجيش بمناسبة مذابح « صابرا وشاتيلا » ؟!! لقد رد عليه وزير الدفاع قائلاً : (وأين كان الضباط الإسرائيليون عندما وقعت مذابح [تل الزعتر] ؟!! لقد كُنْتَ عند ذاك وزيراً للدفاع) .

لقد اندفعت الكتائب الفاشية ـ والتى يطلقون عليها كذباً (الكتائب المسيحية) بعد حصار استمر ٥٠ يوماً [٢٢ يونيو ١٩٧٦ ـ ١٢ أغسطس ١٩٧٦] قام أولئك الجنود الذين سلحتهم حكومة إسرائيل بأحدث

سلاح ـ قاموا بذبح ألفين حسب تقديرات الصليب الأحمر الدولي ـ ولم تبد حكومة إسرائيل ، ولا وزير دفاعها شيمون بيريز أية بادرة لوضع حد لفظائع تلك « الدُّمى » التي يسيرونها في كل حركة لها .

نعم ـ لقد أدلى آريل شارون بحديث لصحيفة (بديعوت أحرونوت) في ٢٦ مايو ١٩٧٤م قال فيه : (اضربوهم .. لا تتوقفوا عن ضربهم .. عليكم أن تضربوا الإرهابيين أينما كانوا : في إسرائيل .. أو في البلاد العربية .. أو في غيرها .. وأنا أعرف كيف نفعل ذلك .. فلقد سبق لي أن فعلتها !! » .

وما يقوله جهراً شارون يفعله أنصار حزب العمل .. لأن إرهاب الدولة ـ أيضاً ـ هو جزء من منطق الصهيونية السياسية !! .

وليس المهم هو أن نعرف حقيقة أعدائنا .. بل المهم أن نعمل وفق هذه المعرفة .. وإلا كنا كمن يحرث في البحر .. فنحن على سبيل المثال لا الحصر نعلم علم اليقين أن الغرب الصليبي وفي مقدمته (أمريكا) لايزال يجتر أحلك أحقاده على الإسلام ، ولا تزال رواسب الحروب الصليبية ـ التي لم تنته كما قال الاستعماري الإنجليزي الأفاق الجنرال « اللنبي » حين دنست قدماه أرض بيت المقدس :

« **الآن انتهت الحروب الصليبية** » وذلك في أواخر الحرب العالمية الأولى .

أقول : لا تزال الحروب الصليبية تعتمل في نفوس أحفاد الذين أعلنوا تلك الحروب .. وبالرغم من ذلك فنحن نتعامل مع دول الغرب كأصدقاء ، ونسعى جاهدين للإغضاء عما ترتكبه من جرائم في حقنا نحن العرب والمسلمين !! .

وثيقة مجرم الحرب دوجلاس هيرد :

نشرت جريدة (ليليان) البوسنوية بتاريخ ١٩٩٣/٦/٧ وكذلك بعض الصحف البريطانية نص خطاب جون ميجور رئيس وزراء بريطانيا الذى أرسله إلى دوجلاس هوج - رئيس مكتب الأجانب والكومنولث برئاسة الوزارة ، والذى نشر فى العديد من الصحف ما عدا الصحف العربية :

« عزيزى دوجلاس .. شكراً على تقريركم الوافى حول الوضع الحالى فى منطقة البوسنة والهرسك فى يوغوسلافيا السابقة .. وكما تعلمون من المناقشات السابقة أن كلاً من مجلس الوزراء وحكومة جلالتها لم تغير موقفها من أى من السياسات التالية :

١ - نحن لا نوافق الآن ، ولا مستقبلاً على تسليح أو تدريب المسلمين فى البوسنة والهرسك .

٢ - نحن نستمر فى إلزام وإرغام الأمم المتحدة على حظر السلاح إلى منطقة البوسنة والهرسك .. بينما نعلم جيداً أن اليونان وروسيا وبلغاريا يمدون صربيا بالسلاح .. كما أن ألمانيا والنمسا وسلوفينيا .. و (حتى الفاتيكان) يقومون بنفس المجهود لصالح الكروات فى المنطقة .. مع التأكد من عدم نجاح الدول والجماعات الإسلامية فى توصيل المساعدات إلى المسلمين فى البوسنة .. وسوف نستمر فى اتباع هذه السياسة حتى يتم تقسيم البوسنة والهرسك وتدميرها كدولة إسلامية متوقعة داخل أوروبا - الأمر الذى لا يحتمل - ولا نريد أن نكرر خطأ تسليح وتدريب المجاهدين الأفغان ضد الاتحاد السوفييتى السابق ، وتحولهم لما يسمى (بالمجاهدين المسلمين) الأمر الذى يؤدى إلى مشاكل خطيرة فى المستقبل بين التجمعات المسلمة المهاجرة فى المجموعة الأوربية ، وأمريكا الشمالية .. إن هناك اهتماماً خاصاً من قبل أجهزة الأمن الداخلى سوف يتخذ تجاه التجمعات الإسلامية فى أوربا .. خاصة فى المملكة المتحدة !!

٣ - وحتى يستقر الوضع فى يوغسلافيا القديمة يجب علينا - مهما كلفنا الأمر - أن نتأكد من أنه لا يمكن لدولة تعتبر إسلامية أن تقوم فى المنطقة - وعليه فإنه من الضرورى أن نستمر فى المحادثات (الصورية) لفانس - أوين للسلام بهدف تأخير أى تحركات ممكنة .. حتى لا يعود هناك أى وجود للبوسنة والهرسك ، وحتى يزاح التجمع الإسلامى تماماً من أرضه .. هذه الرؤية يجب أن تعرف أنها السائدة فى كل حكومات أوربا وأمريكا الشمالية .. وعليه فإننا لن نتدخل فى هذه المنطقة لحماية التجمعات الإسلامية أوندعو إلى رفع حظر السلاح عنهم !! » .

ويواصل ميجور اجترار حقده الأسود :

« إن المسلمين يجب أن يعلموا أنهم لا يمكن أن يعترضوا رؤيتنا للعالم فى ظل النظام العالمى الجديد ، وفى ظل جمود ما يسمى بـ (الحكومات الإسلامية) وفى ظل عجزهم عن فعل أى شىء لمنع القضاء على المسلمين فى البوسنة والهرسك ، وعدم جدوى فعل أى شىء لتحقيق وعودهم بعد مؤتمر « منظمة المؤتمر الإسلامى بتاريخ ١٩٩٣/١/١٥ .. فإنهم جميعاً ليس لديهم قوة لاعتراضنا .. إذ أننا نتحكم فى حكوماتهم .. إننى أعلم تماماً أنك لا تشعر بالذى أشعر به ، ويشعر به وزير الدفاع - ببريطانيا - حول هذه القضية .. ومن المهم أن نفرض جميعاً وجهة نظر موحدة فى البرلمان حول هذه القضية .. وبخاصة بعد الهجوم القوى على هذه السياسة من رئيسة الوزراء السابقة(١) .. إننى أتوقع من كل هؤلاء الذين يخدمون الحكومة أن يحترموا مسئولية مجلس الوزراء » .

جون ميجور

« رئيس وزراء بريطانيا »

---

(١) هى مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا السابقة التى هاجمت الأمم المتحدة وكل دول الغرب وكذلك الولايات المتحدة لموقفهم جميعاً من قضية المسلمين فى البوسنة واتهمتهم جميعاً بالتخاذل والتقاعس ثم كشفت كل أوراقهم فى بيان نشرته كل الصحف البريطانية وكل وكالات الأنباء .. ولكن ما جدوى ذلك كله إذا كانت مارجريت تاتشر قد صرحت بذلك بعد أن تركت رئاسة الوزراء وبعد أن فقدت كل الصلاحيات كرئيسة وزراء وكصانعة القرار داخل (١٠ داونينج ستريت) .

أرأيتم ؟!! هؤلاء هم أعداؤنا على حقيقتهم .. ولكننا نجهل أو نتعمد أن نتجاهل ، ثم نعجز عن الرد على حماقتهم وسفاهتهم !! .

إن أزمتنا تكمن فى أننا نجهل حقيقة أعدائنا .. بل وأننا نتعمد ـ فى كثير من الأحيان ـ أن نتجاهل حقيقة أعدائنا .. وبخاصة سادتنا وكبراؤنا الذين يرون مصلحتهم ـ وحسب ـ فى أن يعيشوا ذوى سلطان .. ولو بلا عروش أو تيجان .. ولو على حساب كرامة دولهم وشعوبهم المطحونة .. وهؤلاء (السادة علينا) (عبيد لواشنطن) وغيرها .. (والكبار علينا) (صغار أمام أى رئيس أمريكى !!) .

ويبدو ـ واضحاً ـ أن تسلط السادة الكبار على الشعوب المطحونة هو كرد فعل لتسلط من هم أكبر منهم عليهم .. ويصير تسلطهم بمثابة عملية تعويض نفسية عما فقدوه ، وأمرٌ من ذلك هو أن أعداءنا يتحدُّون أمتنا فى سفور واستخفاف بها .. بينما سادتنا يقابلون مثل هذا التحدى السافر ببيانات معسولة وعلى استحياء .. وبخاصة إذا كان هذا التحدى صادراً من واشنطن !! أو لندن .. أو باريس !! .

وأذكر أن الدكتور « رفعت المحجوب » الذى لقى مصرعه ـ منذ سنوات ـ صرح إبان رئاسته لمجلس الشعب .. تحت قبة المجلس بقوله :

« **نحن لا نستطيع أن نتحدى أمريكا لأنها هى التى ترسل إلينا رغيف العيش** » إنها فلتة لسان مريرة .. ربما عوتب عليها فيما بعد .. من يدرى ؟!!

فى جريدة الأهرام ١٩٩٤/٣/٧م ـ وتحت عنوان : « بين الإرهاب والسياسة » تقول الكاتبة سامية الجندى ما خلاصته :

« لم يتجاوز رد الفعل الأمريكى ـ إثر مجزرة الحرم الإبراهيمى ـ حدود البيانات التقليدية التى تؤكد على ضرورة الاستمرار فى عملية السلام .. وهى عبارة متكررة دائماً كلما ظهرت عقبة فى الطريق تهدد

بوقف العملية أو تعطيلها .. ويبقى موقف « رابين » الذى كان همه الأول والأخير كيفية التنصل ـ هو وحكومته ـ من المسئولية عن هذه الجريمة ، والإصرار على أنها عمل فردى ارتكبه .. متجاهلاً ـ أى رابين ـ الملابسات المباشرة للحادث ، والشبهات فى تواطؤ جيش الاحتلال .. وقد كان بوسع رابين صاحب قرار طرد أربعمائة فلسطينى من غزة بسبب مقتل رجل شرطة إسرائيلى فى أواخر عام ١٩٩٢م ، وهو أيضاً صاحب قرار الاجتياح الثانى لجنوب لبنان فى يوليو ١٩٩٣ الذى انتهى بمقتل ١٢٥ عربياً ، وتشريد أكثر من ٢٥٠ ألفاً آخرين ـ أن يتخذ إجراءات أكثر حسماً لتقليل حجم الغضب .. ولكنه اكتفى بالأمر بنزع سلاح عدة عشرات من بين ١٥٠ ألف مستوطن ، واعتقال خمسة من قادة حركة (كاخ) .

وعندما تعجز مثل هذه الجرائم الإرهابية الدموية ـ كما ترى الكاتبة ـ عن تغيير مواقف السياسيين فإنها لا تفعل سوى أنها تطلق مارد الإرهاب من قمقمه ، وتضع مصير الشعوب فى أيدى القتلة .. لا الزعماء !!

وكان الله فى عوننا أمام أمريكا : (الصديق اللدود) !! .

يقول الكاتب الأستاذ سلامة أحمد سلامة فى عموده اليومى (من قريب) بالأهرام ـ ١٩٩٤/٣/١٤م :

« وبعد مذبحة الخليل تحولت أمريكا إلى شريك سلبى كل مهمته أن يغطى على الجريمة ، وأن يهدئ أعصاب الفلسطينيين ، ويدارى على الإسرائيليين ، ويمنع إصدار قرارات إدانة من مجلس الأمن يمكن أن تثير ثائرة رابين .. إلى درجة أن تأخير المجلس فى إصدار قراره لمدة أسبوعين جعل منه شريكاً فى عمليات القمع الدموى التى ما زالت مستمرة فى الأراضى المحتلة ، بدلاً من أن يكون عامل تهدئة واستعادة لجو السلام

والمفاوضات باتخاذ قرارات تضمن حماية الفلسطينيين ، وتكبح جماح المستوطنيين !!

ويضيف الكاتب :

« والتحرك الروسى الآن ـ وإن بدا وكأنه يدخل فى إطار صحوة مفاجئة لكى تستعيد روسيا مكانها على الخريطة الدولية .. إلا أن هذا التحرك يتم بطريقة لا تبدو مقنعة أو مؤثرة .. وكأنها تتم بالتنسيق مع واشنطن لمنع انهيار عملية السلام .. غير أن المشكلة التى تتضافر جهود أمريكا وروسيا الآن على إبعادها من بؤرة الاهتمام .. وهى توفير حد أدنى من الضمانات لحماية الفلسطينيين فى ضوء مذبحة الخليل .. تبقى هى المشكلة الرئيسية التى ينبغى التركيز على حلها فى الوقت الراهن قبل استئناف المفاوضات » .

ونتساءل فى أسى مرير :

هل يعتقد الكُتاب الأفاضل أننا بصدد سلام حقيقى .. أم بصدد استسلام واقعى .. ونحن لا نملك إلا قبول هذا الاستسلام المحوط بالإذعان والإذلال والاستخذاء ؟!!

* * *

والكفر ملة واحدة .. لكنا فى غفلة عن هذه الحقيقة !!

يتساءل الأستاذ كمال عبد الرءوف فى أخبار اليوم ١٢/٣/١٩٩٤ فى عموده الأسبوعى (قراءات) :

ما الذى تريده فرنسا هذه الأيام ؟!!

ولماذا هذا الوفد العسكرى الذى يزور إسرائيل برئاسة وزير الدفاع الفرنسى .. لو صح ما قاله راديو لندن ووكالات الأنباء أن فرنسا تحاول

العمل على عودة التعاون العسكرى بينها وبين إسرائيل بعد توقف دام ٢٧ عاماً .. فإن ذلك معناه أن فرنسا لم تتعلم من درس مؤامرة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م .. ومعناه أيضاً : أن الموجودين حالياً فى الحكومة الفرنسية : إما أنهم من السذاجة السياسية بحيث يحاولون استعادة مكان لفرنسا فى الشرق الأوسط عن طريق إسرائيل .. وإما أنهم كانوا من المراهقة أو الشباب الذى لا يعرف الكثير عندما أرغم العالم قوات فرنسا على الانسحاب ذليلة مكسورة من بور سعيد بعد مؤامرة ١٩٥٦ على مصر » .

* * *

لقد عز عليّ أن يرى كاتب متمرس نثق فيه مثل الأستاذ (كمال عبد الرءوف) أن هذا التعاون الجديد [المشبوه] بين فرنسا وإسرائيل مكتوب عليه الفشل .. وذلك من منطلق هزيمة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م .. وكأن الكاتب الأديب يتجاهل قاعدة سياسية عقيدية تؤكد أن [الكفر ملة واحدة] ويتجاهل معها ظاهرة تقول : نحن لم نعرف حقيقة أعدائنا بعد !!

ولا نملك بعد ذلك إلا أن نقول :

إذا كان شر ما فى الحياة أن لانعرف حقيقة أنفسنا .. فإن ما هو أكبر شراً منه أن نجهل حقيقة أعدائنا .. وإن كانت الجهالتان وجهين لعملة واحدة !! .

* * *

الجريمة والصدى

لا جدال فى بشاعة الجريمة التى ارتكبت بالمسجد الإبراهيمى بالخليل .. ولكنا تعودنا من آل صهيون حفدة قتلة أنبياء الله ألا يرتكبوا سوى الجرائم البشعة التى ترتجُّ لها السماء ، وتهتز لها الأرض ، وتوتر أعصاب البشرية فى مشارق الأرض ومغاربها .

ولا جدال ـ كذلك ـ فى أن مجزرة المسجد الإبراهيمى يجب أن تحتل قمة البشاعة .. لا من حيث شكلها .. ولكن من حيث مضمونها .. فقد تمت المجزرة البشرية البشعة بتدبير وإحكام من مرتكبيها الأوغاد ، وممالأة ومحاباة من الجيش الإسرائيلى المرابط الذى غض الطرف والتزم بالثبات فى مكانه حتى تمت المجزرة .. وبدلاً من أن يوجه سلاحه إلى المعتدين الأوغاد وجهه إلى صدور المعْتَدَى عليهم الذين تظاهروا دفاعاً عن دماء إخوتهم .. ثم إن حدوث المجزرة البشعة ومفاوضات السلام « المزعوم » قائمة على قدم وساق إنما يمثل قمة التحدى للعرب الذين يقبلون التحدى الصهيونى بمجرد الثرثرة حيناً .. والصمت أحياناً !! .

لن نعرض لصدى الجريمة البشعة لدى الرأى العالمى .. لأنه لا يغنى ولا يسمن من جوع .. ولكنا نعرض لصدى الجريمة البشعة لدينا نحن العرب والمسلمين المعتدى عليهم وعلى مقدساتهم .. وكم كنا نود أن نمسك القلم اعتباراً للحكمة المشهورة : « إذا كان الكلام من فضة .. فالسكوت من ذهب » ولكن ماذا نفعل وهذا قدرنا .. فمما يبعث على الأسى المرير أن الصدى لدى العرب والمسلمين إزاء الاعتداءات الوحشية عليهم ليس أكثر من سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً !! .

نتساءل : ألم يكن في مقدور العرب أن ينهوا المفاوضات الهزلية ، أو يعلقوها على الأقل .. وهذا أضعف الإيمان ؟!!

نجيب في أسى مرير :

نعم .. لم يكن في مقدورهم ذلك .. لأنه ليست لهم إرادة .. ومن لا إرادة له فليس أمامه إلا أن يضع رأسه في الرمال !! .

عينت هيئة الأمم المتحدة [الكونت فولك برنادوت] وسيطاً دولياً في فلسطين .. وفي السادس عشر من سبتمبر عام ١٩٤٨م أرسل تقريراً إلى هيئة الأمم المتحدة وصف فيه النهب الصهيوني على أكبر نطاق ، وتدمير القرى ، وإخلاء السكان ، وإجبار الذين يرفضون إخلاء مساكنهم على بيعها بأبخس الأثمان .. وفي اليوم التالي اغتيل الوسيط الدولي ومعاونه الفرنسي في القدس المحتلة .. وإزاء ما أثاره الحادث من سخط عالمي ــ كما يذكر جارودي ــ حكمت إسرائيل على رئيس جماعة «شترن» الإرهابية ناتان فريدمان بالسجن خمسة أعوام ، ثم صدر العفو عنه بعد ذلك ، وأصبح عضواً بالكنيست في عام ١٩٥٠ .. وقد أعلن أحد زعماء « شترن » في يوليو ١٩٧١م أنه يشرفه بأن يعترف بأنه هو الذي أصدر قرار اغتيال برنادوت .

* * *

ولنعد من حيث بدأنا :

إن الحديث عن الجريمة البشعة يطول ويطول .. ولكننا دائماً كلما ارتكبت الصهيونية الآثمة وغيرها جريمة في حقنا فإننا نهتم بالشكل دون المضمون والأبعاد .. وقلَّ أن نصل إلى الأعماق .. وآل صهيون لا يرتكبون جرائمهم بعشوائية .. بل بحساب دقيق للنتائج والأهداف !!

في جريدة العربي القاهرية الصادرة في الرابع عشر من مارس الماضي ١٩٩٤م تحقيق يكشف عن أسرار تورط الجيش الإسرائيلي في المذبحة .. وكانت التعليمات :

« اتركوهم حتى يفرغوا رصاصهم فى الفلسطينيين » .

وقال المصابون :« سمعنا أصواتاً تقول بالعبرية : « **هذه آخرتهم** » ..

ثم انطلق الرصاص من ثلاثة اتجاهات ..

أما زوجة السفاح ـ باروخ جولد شتاين فقد قالت : « إنها أَبْلَغَتْ عن الحادث قبل وقوعه .. لكن الشرطة لم تتحرك .

وهذا التحقيق الصحفى هو من واقع التحقيق الذى قامت به لجنة رسمية إسرائيلية .. واللجنة مكونة من خمسة أعضاء من بينهم : القاضى العربى عبد الرحمن الزغبى .. قال مائير تايار فى التحقيق وهو قائد قوات أمن الحدود فى الخليل :

« إن لديه تعليمات واضحة تقضى بالاحتماء خلف ساتر والانتظار حتى تفرغ خزينة السلاح تماماً ، أو تتعطل البندقية ، ثم القيام بمحاولة للسيطرة على المستوطنين الذين يطلقون الرصاص » .

وسأله القاضى العربى عضو لجنة التحقيق :

« هل تقصد أنه إذا شاهدت مستوطناً يطلق الرصاص على المصلين، فليس مسموحاً لك بإطلاق الرصاص حتى على مسافة ؟

وأجاب القائد السفاح :

« لا أستطيع .. وتلك أوامر صدرت شفاهة من قائد لواء الجيش الإسرائيلى فى منطقة الخليل : الكولونيل مئير خاليفى » .

وكذلك شهد الكولونيل شالوم جولد شتاين ـ وهو لا يمت بصلة قرابة إلى سفاح المجزرة (باروخ جولد شتاين) أنه حذر القيادات العسكرية والسياسية الإسرائيلية بمن فيهم رئيس الحكومة « إسحق رابين » ونائبه (مردخاى جور) من تصاعد التوتر بين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود فى الخليل قبل المذبحة .. وقال : إن اليهود كانوا يهيلون الرمال على

سجاجيد الصلاة ، ويتعمدون رفع أصواتهم بالتراتيل اليهودية داخل الحرم الإسلامى » !!

هذا وقد أشارت جريدة « العربى » القاهرية فى السابع من مارس الماضى إلى ما نقلته وكالات الأنباء العالمية عن أفراح المستوطنين اليهود بالمذبحة .. فبعد أيام قلائل من المذبحة صور طاقم تليفزيونى أجنبى أولاد المستوطنين اليهود فى الخليل ـ وهم فى طريقهم إلى مدارسهم ـ يغنون كلمات جديدة لأغنية شعبية تقول :

لم أنتقم بما يكفى .. لم أقتل عربياً بيدى » !!

وهكذا كما تقول جريدة العربى أصبح السفاح باروخ جولدشتاين الذى ارتكب مجزرة المسجد الإبراهيمى (بطلاً أسطورياً) لدى شباب إسرائيل ، ففى أجهزة الإعلام اليهودى تسمع وصف الطالبة «نيزعيزرا » ١٧ عاماً بالمدرسة الدنماركية الثانوية بالقدس ما ارتكبه السفاح قائلة :

« **لقد كانت مهمة مقدسة .. كان ينبغى عليه أن يأخذ معه قنابل يدوية** » .

وتقول « سيلفان ساسون » الطالبة فى نفس المدرسة :

« **إنه عمل بطولى .. إنه ـ أى السفاح ـ قديس .. لقد ثأر لكل دماء الجنود الذين قتلهم الإرهابيون** » .

وفى مقابلات صحفية أجرتها « رويتر » مع نحو ثلاثين طالبة من نفس المدرسة ، أشاد الجميع بالمذبحة ، وقالت الطالبة إيليرار كوهين :

« **يجب أن يفعلها مستوطنون آخرون .. لا بد أن يكون هناك أربعة آخرون من أمثال باروخ جولد شتاين** » !!

ولم يكن غريباً أن يلقى الآلاف من الإسرائيليين تلك « الهالة الأسطورية » على جولد شتاين السفاح .. فهم جميعاً أكثر تطرفاً منه وعدوانية أيضاً .. وتذكر وكالات الأنباء أنه فى لحظات دفن القاتل الصهيونى وقف حاخام إسرائيلى قائلاً :

« إن مليون عربى لا يساوون ظفر يهودى واحد » .

هذا وقد هتف المشتركون فى مراسم دفن السفاح ـ وهم يحملون رشاشات « عوزى » قائلين :

« كلنا جولدشتاين .. إن شعب إسرائيل مريض وأعطانا جولدشتاين وصفة العلاج » .

* * *

وإذا كنا نحن ـ العرب والمسلمين ـ قد أصبحنا عاجزين عن تقدير مضمون الجرائم الصهيونية وغير الصهيونية التى ترتكب ضدنا ، وعن تقدير أبعاد مثل هذه الجرائم فإننا أصبحنا عاجزين ـ كذلك ـ عن أن نتجاوز مجرد الصدى إلى الردع .. حتى وإن جاء متواضعاً .. هكذا يقول صديقى الخبير المثمن مصطفى أبو أحمد ـ القاهرة :

« إننا نريد الردع .. وليس الصدى .. فالصدى لن يجدى نفعاً ولو بلغ أقطار السماء والأرض مع قوم متمرسين فى سفك الدماء البشرية يتفرجون على منظر الدماء المسفوكة ، ويصمون آذانهم عن صرخات الضحايا .. قوم يتعاملون معنا بلغة الرصاص .. ونحن نتعامل معهم بلغة الكلام .. وهيهات أن يسكت الكلام صوت الرصاص .. هل يليق بأمة تجاوز عددها المليار أن تستنجد بالعالم وتستصرخه من شراذم إرهابية لا يتجاوز تعدادها ثلاثة ملايين .. يعنى : مليون أمام أكثر من ثلاثمائة مليون ؟!!

قلت لصديقى :

هوِّنْ على نفسك .. « فلقد أسمعت لو ناديت حياً » وبقية البيت معروف : « ولكن لا حياة لمن تنادى » فنحن الذين شجعنا بسلبيتنا أعداءنا على المضى فى عدوانهم علينا .. هم يقدمون إلينا مزيداً من الجرائم ، ومزيداً من الإذلال ونحن لا نقدم إليهم إلا مزيداً من الصرخات المدوية بلا أثر يذكر !!

ومما يؤسف له أبلغ الأسف أننا فى مواجهتنا للمجزرة فى المسجد الإبراهيمى ـ فى مجال الكلام أو الثرثرة ـ لم نكن على المستوى الذى يكسبنا ـ ولو قليلاً ـ من احترام العالم لنا .. لقد فشلنا ـ إعلامياً وسياسياً ـ فى استثمار المجزرة ـ وهذا شأننا دائماً ـ لمصلحة القضية الفلسطينية .. بل على العكس .. إننا حاولنا استثمار المجزرة فى الاتجاه المضاد !! .

تحت عنوان « النضال بأثر رجعى » كتب الدكتور فتحى عبد الفتاح بجريدة الجمهورية فى العاشر من مارس الماضى يقول :

« والأمر الطبيعى أن تستثمر هذه الغضبة بحثاً عن تضامن عربى فعال يمكن أن يمثل انطلاقة جديدة لتحقيق الطموحات العربية والفلسطينية المشروعة .. ولكن الذى أزعجنى حقاً هو أن البعض يحاول أن يستثمرها فى اتجاه مضاد تماماً ، واتجاه يؤدى فى واقع الأمر إلى إضعاف الموقف العربى والفلسطينى، وبغض النظر عن الشعارات المنغمة التى يرفعها » !!

وفى جريدة الأهرام ١٩٩٤/٣/١٥ وتحت عنوان : « دفاع عن ذاكرة الأمة » كتب الأستاذ فهمى هويدى يقول :

« يدهشنا ذلك الجهد الذى يبذله البعض منا لصرف الانتباه عن خطر الممارسات الإسرائيلية ، بقدر ما يصدمنا سعى البعض الآخر لتجميل الصورة الإسرائيلية فى الإدراك العام إلى الحد الذى يهتك الذاكرة العربية، ويمهد لاغتيالها .. خذ مشهد المذبحة التى وقعت فى الحرم الإبراهيمى ، وكيف كان صداها فى تلك الكتابات التى نعنيها !! لأول وهلة يتصور المرء أن تحرك المذبحة فى الضمير والوعى العربى قضايا عدة فى مقدمتها: الطبيعة العدوانية للمشروع الصهيونى ، والخطر الذى تمثله المستوطنات ، والثغرات واجبة المراجعة فى اتفاق إعلان المبادئ الموقع فى ١٣ سبتمبر الماضى ١٩٩٣م وفيما مضى الخطاب الإعلامى والسياسى العربى فى ذلك الاتجاه بصورة نسبية إذا ببعض إخواننا يخرجون علينا بكتابات تميع القضية ، وتدعونا للتفكير بأمور أخرى بعيدة عن المسار المفترض »

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

وعرض الكاتب ـ الموفق دائماً ـ لنماذج من الأصوات النشاز :

« فهذا صوت يحذرنا من « هوجة العرب » ويحثنا على الارتقاء ـ ولو مرة واحدة ـ إلى محاولة تعلم السياسة والرد بها .. لأن الرد يجب أن يكون سياسياً .. أى يجب أن يتعلق بأهداب التسوية عاملاً على دفعها وتعميقها .. إذن فغاية المطلوب من العرب ـ فى مواجهة المذبحة ـ أن يتلقوا دروساً فى الارتقاء .. ولم يكن ذلك صوتاً واحداً .. وإنما كان الأكثر فجاجة بين أصوات عدة تعبر عن مدرسة متكاملة ما برحت تدعونا إلى [التعقل] و[الاعتدال] و[التعامل مع الموقف بصورة متحضرة ، تتناسب مع المتغيرات الحاصلة فى العالم] و[عدم الاستسلام للانفعال الذى يورطنا حتماً فى معارك خاسرة] .

وهذا صوت آخر كل ما يشغله فى المشهد هو : (ضرورة الحفاظ على حكومة إسحق رابين) حتى لا تتعرض للسقوط .. الأمر الذى يفتح الباب لاحتمال عودة [الليكود] إلى الحكم .. وفى ذلك خسارة ـ أى خسارة ـ للعرب .. وقد ترددت هذه المقولة بدرجة تستفز الضمير والذاكرة فى الوقت ذاته .. بل وتمثل إهانة للاثنين !!

وهذا صوت ثالث يقلب القضية ، ويحذرنا من أن [التطرف الصهيونى المتعصب أطلق عنان التطرف الإسلامى] الأمر الذى يصرفنا بدوره عن خطر المشروع الصهيونى بدعوى أن الخطر الأكبر يتمثل فى إطلاق العنان للتطرف الإسلامى .. وهو منطق متهافت يبرئ ساحة الحكومة الإسرائيلية ، ويوحى بأن الأنظمة العربية ومعها الحكومة الإسرائيلية يواجهون مشكلة واحدة .. هى : التطرف !! .

ونضيف نحن :

إن ما ذكره الأستاذ فهمى هويدى مجرد نماذج لأصوات نشاز .. وما أكثرها .. ونعتقد أن أصحاب هذه الأصوات النشاز إنما تعبر عن وجهة النظر السياسية المحلية التى تمثلها السلطة .. والخارجية التى تمثلها واشنطن .. ولسان حال سفاراتها تردد أغنية عبد الوهاب :

« تراعينى قيراط ، أراعيك قيراطين » .

مع الاعتذار للغة العربية الوسطى من أجل عيون النغم ، والتنسيق الموسيقى .

والحقيقة بالغة المرارة ـ علم الله وحده ـ وها نحن أولاء نرى أنفسنا دون مستوى الأحداث الجسام :. ليس هذا وحسب .. بل ما هو أبلغ مرارة .. إن عجزنا عن الارتفاع ـ ولو إعلامياً ـ إلى مستوى الأحداث يدفعنا أحياناً إلى الشوشرة عليها بما يقلل من شأنها .. إن « مجزرة المسجد الإبراهيمى » كان ينبغى أن يكون لها المقام الأول فى إعلامنا .. ولكن إعلامنا ـ لا بارك الله فيه ـ حاول جاهداً أن يبعد أنظارنا عن المجزرة البشعة ـ ودماء الضحايا الركع السجود لم تجف بعد ـ ويوجهها إلى المسلسل التلفزيونى « **العائلة** » وإلى فيلم المدعو عادل إمام « **الإرهابى** » وكذلك المسلسل « **أرابيسك** » !!

وكانت فرصة للأقلام الهزيلة التافهة أن تنبرى لتشيد بهذه المعطيات فى مواجهة الإرهاب ، ولتدافع عما حدث فيها من خلل فى التعبير .. وكانت معركة حامية الوطيس بشأن ما جاء على لسان بطل العائلة الممثل محمود مرسى من سؤال استنكارى عن صحة عذاب القبر وجه إلى أحد المتطرفين ، مما أثار البعض اعتراضاً .. وأثار البعض الآخر دفاعاً ، واستدرج المفتى والأزهر للإسهام فى المعركة.. وحتى بعض الأقلام التى كنا نكن لها قدراً من الاحترام ارتدت العمامة والجبة والقفطان دفاعاً عن محمود مرسى ، وتهكماً على الذين أنكروا على الممثل فعلته !!

وماذا عن الصدى ؟

أعنى الصدى على المستويين : الشعبى والرسمى :

أولاً - على المستوى الشعبى :

فى الدول المتقدمة : توجد الشعوب لفظاً ومعنى .. وهى - فى الواقع - صاحبة القرار .. لأنها شعوب حية تؤمن بوجودها وتحترمه ..

وفى العالم الثالث المتخلف : توجد الشعوب شكلاً وليس موضوعاً.. ولفظاً وليس معنى .. لا تحترم وجودها لأنها غير مؤمنة به ولا تحس به !! .

وفى الدول المتقدمة : يعمل الشعار الذى أرسى قاعدته الخليفة الراشد عمر بن الخطاب حين ردّ على من ضاقوا بالقائل له : اتق الله يا عمر .. فقال رضى الله عنه عبارته الخالدة : « لا خير فيكم إذا لم تقولوها .. ولا خير فينا إذا لم نسمعها » .

وفى الدول المتخلفة : لا وجود - على الإطلاق - للقاعدة العمرية .. فقد حل محلها شعار آخر جاء على لسان شاعر عربى آفن رفعه إلى أحد خلفاء المسلمين فى العصور السالفة :

ما شئت لا ماشاءت الأقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار

وفى العصر الحديث جاء الشعار على لسان شاعر مصرى مخبول يحمل النفاق فى قلبه ولسانه ، وقد رفعه إلى حاكم متسلط أذل شعبه طوال فترة حكمه :

مصر بلا جمال ما لها صفة   مصر بلا جمال أمّةٌ عدم

ومعذرة للقارئ :

فقد شاء لنا قدرنا أن نعيش بأعصاب متوترة .. بل إن هذا التوتر فى ازدياد ونمو مطردين .. فالأحداث الجسام لا ترحمنا .. وهى أحداث تستمرئ إذلالنا ، وإهانة كرامتنا ، ولا نملك إلا أن ننحنى لها وأنوفنا فى الرغام ، وكلما حاولنا أن ندفن رؤوسنا - كالنعام - فى الرمال أبت

الرمال علينا ذلك بعد أن أصبحنا دون قيمة الرمال .. منذ قرن من الزمان صرخ الحكيم الثائر جمال الدين الأفغانى[1] فى الهنود يستعديهم على الاستعمار البريطانى الجاثم على صدورهم .. وقال :

« يا معشر الهنود : لو أن الله مسخ ملايينكم ذباباً لاستطاع أن يخرج الإنجليز بطنينه .. ولو أن الله مسخ ملايينكم سلاحف فغاصت فى البحر لاستطاعت أن تقتلع الجزر البريطانية من جذورها !! » .

وكان أن اندلعت الثورة العارمة فى الهند .. وكان ما كان وخرج الإنجليز واستقلت الهند .

ونتساءل فى أسى مرير :

هل لو كان الأفغانى حياً وصرخ فى هذه الأمة بعد مجزرة المسجد الإبراهيمى .. أكانت صرخاته المدوية تترك أثراً يذكر فى شعوب هذه الأمة ؟!!

وحتى نكون صرحاء مع أنفسنا ، ونتجنب المغالطة يجب أن تكون الإجابة عن السؤال المطروح بالنفى .. لأننا أصبحنا أمة بلا شعوب ، وشعوباً بلا أمة .. لأن المتسلطين على هذه الأمة حوّلوا شعوبها إلى هياكل بشرية ، وتركوها أسماء بلا مسميات ، وأصابوها بالإحباط المفرط ، وجعلوها تتشبث بالشعار السلبى القائل : « **ليس فى الإمكان أبدع مما كان** » بل لقد تمادى هؤلاء المتسلطون على الأمة المسلمة فى جبروتهم حتى فرضوا على شعوبها أن تهتف بحياتهم وهم قاتلوها ،

(١) جمال الدين الأفغانى .. أحد المجاهدين المسلمين العظام الذى ترك بصماته الواضحة على رقعة واسعة من بلاد المسلمين .. فى الشرق والغرب .. ما زالت سيرته نهباً لصحافة اليسار المصرى القمىء من جهة .. وللصحافة القومية الحكومية من جهة أخرى على مدى نصف قرن من الزمان .. ولقد أطلقوا عليه [طريد الحكومة] ولقد صدقوا .. فقد كان حقيقة [طريد الحكومات] ولكنها الحكومات العميلة التى كان يعمل بعضها لحساب الشرق .. وبعضها الآخر لحساب الغرب!!

وتصفق لأمجادهم الزائفة وهم صانعو الهزائم المتكررة التى لحقت بها !!

ويبدو أن الأفغانى أحس بهذا الإحساس الذى نحسه اليوم .. ففى أواخر حياته صرح بقوله :

« لقد جاهدت فى المسلمين أكثر من أربعين عاماً .. فوجدتهم جميعاً مرضى لا علاج لهم إلى أن يقضى عليهم .. ثم يتعهد النشء الجديد ، فيُربى التربية الإسلامية الصحيحة ، وعلى أكتافه تقوم الدولة الإسلامية الفتية » !! .

ولماذا نذهب بعيداً ونبوءات رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بين أيدينا : « **يوشك أن تَداعَى إليكم الأمم كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قصعتها** » قالوا : أوَمِنْ قلة يومئذ يا رسول الله ؟ قال : « **لا .. ولكنكم غثاء كغثاء السيل .. ولَيَنْزِعَنَّ الله المهابة منكم من قلوب أعدائكم ، وليقذفنَّ فى قلوبكم الوَهَن** » قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : « **حب الدنيا وكراهية الموت** » .

وفى صحيح البخارى عن مرداس الأسلمى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

« يذهب الصالحون الأول فالأول .. ويبقى فى الناس حثالة كحثالة الشعير أو التمر .. لا يباليهم الله بالة » !!

ونتساءل فى أسى مرير أيضاً :

ماذا فعلت الشعوب المسلمة [أكثر من مليار من البشر] كرد فعل على مجزرة الحرم الإبراهيمى بالخليل فى فلسطين ؟!!

والإجابة ـ بالطبع ـ لم تفعل شيئاً .. إلا من مظاهرات سلمية فى دولة أو اثنتين على الأكثر ـ ليس من بينهما مصر ـ حيث اعتبرت المظاهرات السلمية غير مشروعة فى دول تزعم الديمقراطية وتَدَّعيها .. لأن فى المظاهرات السلمية خروجاً على القانون وتهديداً لأمن الدولة ..

وما دام السادة والكبراء ـ الذين أضلونا السبيل ـ قد شجبوا المذبحة وأنكروها بلا احتجاجات حاسمة تعتبر رد فعل على الجريمة .. وإنما هى من قبيل الاستهلاك وامتصاص الغضب .. وليس أكثر من ذلك .. فقد أصبح لزاماً على الشعوب أن تلتزم الأدب ، وأن تكون مهذبة متحضرة فلا ترفع أصواتها فوق أصوات سادتها وكبرائها !! .

والحق : أن الذين تحركهم الأحداث من الشعوب فيحاولون التعبير عن أحاسيسهم ومشاعرهم قلة لا تذكر من بعض طوائف المثقفين وطلاب الجامعات .. وقل أن تتركهم السلطة وشأنهم برغم الهدوء فى التعبير .. لأن لدى السلطة مخزوناً من الهراوات الغليظة والقنابل المسيلة .. ولا مانع من استخدام الرصاص إذا تحرج الموقف ، أو لزم الأمر حسب تقدير الشرطة ذات الحساسية الخاصة .

صحيح أن المظاهرات ـ بعد وقوع الجرائم ـ لا تجدى شيئاً .. وبخاصة إذا كان المجرمون من أمثال آل صهيون .. ولكن المأساة تكمن فى أن تضيق السلطات ذرعاً بالشعوب حين تحاول الاحتجاج بأضعف الإيمان !! .

* * *

ثانياً ـ على المستوى السياسى :

أعنى على مستوى الأنظمة .. فى ديار العروبة والإسلام بلا أى استثناء يذكر ، لأن هذه الأنظمة ـ جميعاً ـ من معدن واحد .. أجل : معدن واحد صهر فى بوتقة واحدة مع مزيج من التبعية المهينة ، والقابلية للهزائم بصدر رحب ، وللإذلال بسعة أفق .. ومما يدعو إلى الحزن الممض أن هؤلاء الأقزام فى صور عمالقة من خشب أنهكه السوس .. ولكنهم لا يحسون بذلك .. لأنهم يصدقون وسائل إعلامهم حين تكيل لهم المديح بلا حدود ، وتضفى عليهم الأمجاد والبطولات الزائفة بلا حياء ، وعلى أثر المجزرة الرهيبة فى الحرم الإبراهيمى كانت تصريحاتهم

تغطى على الكارثة ، وتستولى على « مانشيتات » الصفحات الأولى من الصحف ، ويستهل بها التلفاز والإذاعة نشرات الأخبار !!

قال محرر الطرائف فى جريدة الشعب القاهرية فى ١٩٩٤/٣/٨م :

« **بعد المجزرة التى تمت فى الحرم الإبراهيمى أصبحت أشك أن حكام الدول العربية والإسلامية من البشر .. فلا قلب أو عقل لهم .. أو حتى غيرة على إسلامهم .. حسبنا الله ونعم الوكيل** » .

ولست أدرى .. ماذا أقول بعد هذا الوصف الدقيق الذى وضع النقاط على الحروف ؟ فى جريدة « العربى » القاهرية فى ٢١ مارس الماضى ١٩٩٤م قال الأستاذ ضياء الدين داود فى مقاله الافتتاحى تحت عنوان : « زمن الإذلال الأمريكى » :

« **الموقف الأمريكى من العرب وقضاياهم ليس جديداً .. ولكنه موقف مستمر ، أمعن فى إذلال العرب والاستهانة بهم خلال السنوات الأخيرة .. وازداد ضراوة فى الأسابيع الأخيرة .. وليس جديداً علينا ـ أيضاً ـ رد الفعل لدى الحكام العرب الذين يزدادون لهثاً وراء أمريكا ، وكأنهم يستعذبون الإهانات ، يرونها نعيماً وشرفاً كبيراً .. فالموقف الأمريكى المستمر المؤيد للعدو الصهيونى ليس جديداً .. ولكنه موقف مستمر ومتجدد ، وتزايد بقدر ضعف العرب وتخاذلهم .. والتراجع العربى ، ولعق الإهانات الأمريكية ـ أيضاً ـ ليس جديداً .. ومنذ مذبحة الحرم الإبراهيمى وقتل المسلمين الساجدين لله وثورة الغضب تجتاح الشارع العربى كله .. والولايات المتحدة الأمريكية تصر فى تحدٍّ سافر لمشاعر العرب والمسلمين على إرغام العرب على الجلوس مع العدو الصهيونى ، واستمرار التفاوض معه .. وكأن شيئاً لم يكن .. وعلى العرب أن يلعقوا جراحهم ، ويعودوا إلى مائدة المفاوضات** » !!

ونضيف :

يبدو أن من حق إسرائيل أن تتمادى فى ارتكاب جرائمها التى لم

تتوقف .. بل ولم يُحَدَّ من شراستها بعد المجزرة الرهيبة .. وما دامت آمنة من أى رد فعل عربى أو إسلامى على ما ترتكبه من جرائم فى الأرض المحتلة وجنوبى لبنان وهى تسخر منا ومن مجلس الأمن ، وهيئة الأمم ، والرأى العام العالمى .. وما دامت ترى فى أنظمتنا خشباً مسنَّدة ، تتصدى للشعوب إذا حاولت أن تخرج إلى الشارع لتعبر عن مشاعرها .. ولو بمجرد صيحات بلا صدى ، وهتافات بلا أثر !!

ويجب أن لا يغيب عن أذهاننا أن هناك حقيقة مريرة لا مناص منها بالغة مرارتها ما بلغت .. وهى : أن الجرائم الشرسة التى ترتكب ضد الأمة العربية والأمة المسلمة طرفاها : **الأعداء مرتكبو الجرائم من ناحية، وأنظمتنا من ناحية أخرى** .. والاثنان شريكان : الأول إيجاباً .. والآخر سلباً .. وهذه الحقيقة المريرة يدركها أعداؤنا .. ونتجاهلها نحن عن عمد وإصرار ، والذين يعقدون الأمل فى الشعوب واهمون بعد أن قَتَلَ سادتُها وكبراؤها روحها ، وأفقدوها ذاكرتها ، بعثوا اليأس والإحباط فى نفوسها .. كما بعثوا فى نفوسها ــ كذلك ــ الروع والفزع والخوف ، وهددوها بالدستور والقانون .. وهم الذين صنعوهما على أعينهم ليضمنوا لأنفسهم وحدهم البقاء ، ولشعوبهم الفناء !!

* * *

جندي إسرائيلي يحرس أربعة من اليهود أمام حائط المبكى في القدس القديمة بعدما منعت السلطات الإسرائيلية المصلين اليهود من حمل السلاح في أعقاب مجزرة الخليل ثم تراجعت عن قرارها. [illegible]

إسحق رابين فى حديث تنسيقى مع أحد المستوطنين قبل دخوله إلى المحكمة للإدلاء بشهادته فى قضية مذبحة الحرم الإبراهيمى .. ترى ماذا كانت وصية رئيس الوزراء الإسرائيلى للمستوطن قبل الإدلاء بشهادته ؟!!

(ريان تور) أحد مستوطنى [كريات أربع] وهى المستوطنة التى كان يسكنها الإرهابى باروخ جولد شتاين .. ويرى هنا وهو يرفض تسليم مسدسه قبل دخوله إلى قاعة المحكمة للإدلاء بشهادته استجابة لطلب الشرطة ومن المعروف أن القانون الإسرائيلى يمنع حمل السلاح عند المثول أمام هيئة المحكمة حتى ولو كان السلاح مرخصاً

نحن نحرث في البحر

أجل نحن نحرث في البحر .. ويبدو أننا لم نؤهل إلى أكثر من ذلك .. وما دمنا قد تعالينا على ديننا ونبذناه وراء ظهورنا .. فسنظل نحرث في البحر .. إلى أن يقيض الله لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها ، ويأخذ بيدها ، ويحمل أهلها على أن يُغَيِّروا ما بأنفسهم من هوان وضعف وذل واستكانة ، حتى يغيّر الله ما بهم .

إن التعالى على دين الله أمر ميسور اليوم .. بينما لا يرى منه شيء ـ أى شيء ـ على أعدائنا الذين أفرطوا فى اعتداءاتهم علينا ، وفرّطنا نحن فى التصدى لهم بمثل ما اعتدوا علينا .. وعلة هذا أن أعداءنا لم يفقدوا الثقة ـ بعد ـ فى أنفسهم ، وفقدناها نحن منذ أمد بعيد .. منذ أن ولى أمور هذه الأمة التعسة أباطرة وأكاسرة وفراعنة : أُسُودٌ على شعوبهم ، ونَعَامَةٌ على غيرهم !! .

لقد مضى على إنشاء الجامعة العربية زهاء نصف قرن من الزمان ، وبلغ عدد اجتماعاتها مائة اجتماع وواحداً منذ أيام .. أما عدد قراراتها فقد بلغ العشرات .. تلاشى جميعها فى مهب الريح ، لأنها قرارات غير ملزمة .. ولا تسل عن عدد توصياتها .. لأن مثل هذه التوصيات تولد ميتة .. تلفظ أنفاسها الأولى والأخيرة معاً قبل أن يجف المداد الذى كتبت به .. وخلال نصف قرن من الزمان دأبت الجامعة العربية على أن تحرث فى البحر .. وعلة هذه المهزلة أن هذه الجامعة التى أشرف على تأسيسها المندوب السامى البريطانى آنذاك أنشئت لكى تكون جامعة حكومات .. وليست جامعة شعوب .. ولكى تكون ـ وحسب ـ منبراً لهواة استعراض العضلات.

كانت مأساة فلسطين ـ ومنذ زهاء نصف قرن ـ محكاً للأنظمة العربية ، ومثالاً صارخاً ـ بعد ذلك ـ لأطول قضية فى التاريخ القديم والحديث معاً .. ورسبت الأنظمة فى الامتحان .. وقد سقطت أقنعتها المصنوعة من الزيف والخداع ، وأثبتت أن تشدقها بالجهاد والنضال لم يكن إلا أباطيل وأوهاماً .. وأن البطولات التى تضفيها وسائل الإعلام عليهم وصدّقوها لم تكن إلا أساطير تفوق أساطير « السندباد » فى قصص « ألف ليلة وليلة » !! .

وأخيراً ـ وبعد نصف قرن من الزمان ـ تمخض الجبل .. فماذا ولد ؟!! .

لقد ولد الجبل فأراً فى « كامب ديفيد » ثم ولد ـ بعد خمسة عشر عاماً ـ صرصاراً فى اتفاق أريحا وغزة !! .

فى مؤامرة « كامب ديفيد ـ حصل اليهود من المائدة على كل شهى ، وتركوا للعرب الفتات الذى تعافه القطاط الجائعة ..

وفى مؤامرة «غزة / أريحا أولاً » لم يدع بنو صهيون للعرب حتى الفتات .. وحسب العرب المشهيات من الشعارات .. وكما حصل السادات على لقب «البطولة » فى « كامب ديفيد » ومنحته الدوائر صاحبة القرار « نوبل » جائزة السلام مع شيخ الإرهاب « بيجن » حصل أيضاً ياسر عرفات على لقب البطولة فى اتفاقية « غزة / أريحا أولاً » وفى انتظار جائزة نوبل للسلام يقتسمها مع الصهيونى إسحق رابين !! .

فى ظل معاهدة السلام الأولى « كامب ديفيد » ازدادت شراهة آل صهيون فى العدوان حينما احتلوا جنوبى لبنان ، وارتكبوا مجزرة صابرا وشاتيلا بالاتفاق مع حزب الكتائب ، ودمروا المفاعل الذرى فى بغداد ، وقصفت طائراتهم مخيمات اللاجئين الفلسطينيين فى قلب العاصمة تونس ، وطردوا أكثر من أربعمائة فلسطينى من ديارهم إلى « تكيتهم »

فى جنوبى لبنان عقاباً لهم على قتل يهودى واحد كان قد رفع سلاحه فى وجوههم بغياً وعدواناً .. وازدادت كذلك شراهة آل صهيون فى فتح أبواب إسرائيل لليهود من أوربا وروسيا وأفريقية ، وفى المزيد من بناء العديد من المستوطنات فى الأرض المحتلة وفى الجولان !! .

وكان المفروض فى العرب ألا يبدءوا أية مفاوضات مع عدو شيمته النذالة والخسة قبل أن يتوقف بناء المستوطنات وقبل أن يعود المنفيون الفلسطينيون بتكية إسرائيل بلبنان إلى أرضهم وديارهم ، وقبل الإفراج عن آلاف الفلسطينيين الذين ترزح تحت السياط فى سجون إسرائيل ومعتقلاتها .. وكنا نتمنى ـ وليس كل ما يتمنى المرء يدركه ـ كما يقول الشاعر العربى .. كنا نتمنى أن يرفض العرب الإذلال ـ ولو مرة واحدة ـ وهذا ما لم يحدث .. وما لن يحدث وسوط واشنطن بالمرصاد لأنظمتنا .. ويبدو أن قبول الإذلال صار من نصيب العرب وحدهم :

من يهن يسهل الهوان عليه مـــا لجـــرح بميّت إيلام

وفى ظل معاهدة الاستسلام الثانية « غزة / أريحا » التى تولى كبرها أبو عمار من خلف ظهور الرفاق .. بل من خلف ظهر حتى أقرب المقربين إليه فاروق قدومى .. فضلاً عن بقية كل العرب .. فى ظل هذه المعاهدة الثانية ازدادت شراهة بنى صهيون فى ارتكاب الجرائم .. وقبل مجزرة الحرم الإبراهيمى وبعدها لم يتوقف سفك دماء الفلسطينيين بالأرض المحتلة ، ولا إغارات الطائرات على لبنان .. ولا يزال المستوطنون اليهود الذين قاموا ـ بمساعدة الجيش الإسرائيلى ـ بالمجزرة الرهيبة ، يمارسون اعتداءاتهم وجرائمهم !! .

وكما طبّلنا وزمرنا .. وهللنا وكبّرنا لـ « كامب ديفيد » فعلنا نفس السلوك لاتفاقية « غزة ـ أريحا » وبعض السادة مشايخ السلطة ربطوا بين صلح الحديبية والصلح مع إسرائيل تزلفاً إلى قياداتنا .. وجهلوا وتجاهلوا

معاً فتوى « هيئة كبار العلماء » بالأزهر الشريف التى ترد أضاليل مشايخ السلطة وعلماء اللسان فى نحورهم .. هذه الفتوى صدرت فى الثامن عشر من جمادى الأولى ١٣٧٥هـ الموافق الأول من يناير ١٩٥٦م ، ونشرت الفتوى ـ بعد أسبوعين ـ بمجلة الأزهر ، وكانت اللجنة مكونة من حضرات أصحاب الفضيلة كبار العلماء : الشيخ « حسنين محمد مخلوف » المفتى الأسبق رئيساً .. أما الأعضاء فهم المشايخ : « عيسى منون » عميد كلية الشريعة ، و« محمود شلتوت » شيخ الأزهر فيما بعد و « محمد الطنيخى » مدير الوعظ ، و« عبد اللطيف السبكى » مدير التفتيش بالأزهر ، ثم الدكتور « زكريا البرى » وزير الأوقاف فيما بعد .

ومما جاء بالفتوى :

« الصلح مع إسرائيل لا يجوز شرعاً .. لما فيه من إقرار للغاصب على الاستمرار فى غَصْبِه ، والاعتراف يُبْقى يده على ما اغتصب ، وتمكين المعتدى على عدوانه .. كيف يجوز الصلح ويعلم الناس جميعاً أن اليهود يكيدون للإسلام وأهله ودياره أشد الكيد منذ عهد الرسالة المحمدية إلى الآن ؟! وأنهم يعتزمون أن لا يقفوا عند حد الاعتداء على فلسطين والمسجد الأقصى .. وإنما تمتد مخططاتهم المدبرة إلى امتلاك البلاد الإسلامية الواقعة بين نهرى النيل والفرات ؟! » .

وأضافت الفتوى :

« وأما التعاون مع الدول التى تشد أزر هذه الفئة الباغية ، وتمدها بالمال والعتاد ، فهو غير جائز شرعاً ، لما فيه من الإعانة لدولة إسرائيل على البغى ، والمناصرة لها فى موقفها العدائى ضد الإسلام ودياره » .

التاريخ لا يَنسى ـ بفتح الياء ـ ولكن يُنْسى ـ بضم الياء وسكون النون وفتح السين !! .

* * *

وما عبّرت عنه فتوى كبار علماء الإسلام هو الحقيقة المريرة ـ بلا رتوش ـ إلا أن سادتنا وكبراءنا يتعالون عن رأى الدين ، وتسودهم نزعة الاستخفاف، ويتلذذون لأنهم يحرثون فى البحر .. وذلك لا يكلفهم جهداً ولا مشقة .. وبعد أن كانت أعز أمنية لدى إسرائيل أن يقبل العرب الدخول معها فى مفاوضات من أجل السلام ـ صار العرب هم الذين يسعون إلى العدو ويلهثون للحصول على معاهدة الاستسلام له !! .

صدر أخيراً ـ عن دار الاعتصام بالقاهرة ـ لأبى الفداء : الأستاذ محمد عزت محمد عارف كتاب « أريحا المدينة الملعونة » وكتب أخى وصديق عمرى الأستاذ « حسن عاشور » مدير تحرير مجلة الاعتصام « مقدمة الكتاب » التى تصلح وحدها دراسة قيمة .. تساءل أخى حسن عاشور : كيف وافق عرفات على أن يوقع اتفاقية سلام لا تشتمل بنودها على أهم قضيتين أساسيتين فى النزاع العربى الإسرائيلى ، وهما :

القضية الأولى : هى القدس التى يصر كل زعماء إسرائيل من الحمائم والصقور على أنها لا تخضع لأية مناقشة فى أية مفاوضات سلام راهنة أو مستقبلية بين العرب وإسرائيل .. حتى لو أدى ذلك إلى حرب شاملة رابعة !! .

القضية الثانية : هى قضية اللاجئين الفلسطينيين الذين غيّبهم الضياع والشتات والإبعاد هائمين على وجوهم أمام أنظار العالم وتحت سمع المنظمة الدولية وبصرها ، فلا يسلّمون لهم بقضية ، ولا يعترفون لهم بهوية .. وترجع أهمية اللاجئين إلى أن عددهم يزيد على نصف مليون فلسطينى .. بالإضافة إلى عشرات الألوف فى لبنان .. وهم يمثلون ثروة بشرية ، وخبرة علمية ، وكفاءة فنية يندر وجودها فى شعب من الشعوب العربية أو الإسلامية على الإطلاق :

وأقول لأخى وصديقى الأستاذ حسن عاشور :

هوِّنْ على نفسك .. فليس ياسر عرفات وحده « مخلب قط » فكل الزعماء العرب « مخالب قطاط » ولسنا نعذر عرفات لأن اليأس من العرب دفعه إلى ذلك فلجأ إلى الغرب .. لأن اليأس لا يعرفه المجاهدون الصادقون .. لقد أدلى الكاتب المعروف « محمد حسنين هيكل » بحديث فى سبتمبر الماضى للصحيفة البريطانية « الإند بندت » حول اتفاق « غزة ــ أريحا » جاء فيه :

« إن عرفات بدأ مهتزاً .. والأمور غير واضحة أمامه .. ما هى العروض المقدمة له ؟! ثم من أين تأتى ؟! إن ٦٨٪ من الأفكار المطروحة إسرائيلية و٢٦٪ أمريكية ، ٦٪ فلسطينية .. وقد وضع عرفات علامة استفهام كبيرة أمام ذلك السقوط الكبير .. فقبل ذلك لم يكن مستعداً أن يقدم كل التنازلات التى سبق أن طلبت منه .. وليس خافياً أن عرفات كان قلقاً من تحدى حركة المقاومة الإسلامية [حماس] التى تشغل مكاناً رئيسياً فى تفكيره !! » .

ثم ماذا بعد هذا ؟

إن الأستاذ سلامة أحمد سلامة ــ فى عموده اليومى بجريدة الأهرام ...ادرة فى ١٩٩٤/٣/٣١م أبدى أسفه الشديد لأن انعقاد مؤتمر ... الوزارى بالجامعة العربية تحت الظلال القاتمة الممتدة لمذبحة ...بل لم يسفر عن أى جديد على الرغم من جدول الأعمال الحافل الذى كان ينتظر اتخاذ قرارات حاسمة ، ودون أن يحرز العالم العربى أى خطوات إلى الأمام .. لقد انصرفت المناقشات إلى جدل عقيم ، ثم أرجئ اتخاذ أية قرارات فى كل الموضوعات المصيرية .. وهكذا انفض المولد العربى ، وذهب كل إلى حال سبيله ليبدأ الطعن والنزال من جديد » .

إن الكاتب الموفق يعلم علم اليقين أن هذه حال الجامعة العربية منذ إنشائها وأن شأنها شأن سائر أعضائها من الأنظمة : وجدت لكى تحرث فى البحر !! .

خاتمة المطاف

* لقد بلغ السيل الزبى ...
* عدو غاشم وأمة تلهو ...
* والحل : هو الإسلام وحده ...

وبلغ السيل الزبى

أجل : لقد بلغ السيل الزبى :

الأمة العربية المسلمة فى وضع مهين .. بل بلغ أقصى درجات المهانة ، تلاحقها المهانات المفجعة من كل صوب وحدب ، وتحوطها الهزائم الشرسة من كل جانب ، وهى لا تقدر إلا على تنكيس رؤوسها ولعق جراحها .. لقد استمرأت المهانات والهزائم .. وهى التى تجاوز تعدادها المليار من البشر .. وكأن هذه المهانات والهزائم قد أصبحت جزءا لصيقاً بكيانها ، فلا خلاص منه ، ولا مندوحة عنه !! .

إن هذه الأمة العربية المسلمة تتكالب على شراء أحدث الأسلحة من أعدى أعدائها ، وتدفع عشرات المليارات ثمناً لها من دماء شعوبها وعرقها وكدها .. وليس من جيوب سادتها وكبرائها .. فأرصدتهم بمئات المليارات من الدولارات بأسمائهم مودعة فى مصارف أمريكا وأوربا ، والشعوب المغلوبة على أمرها لم تهيأ بعد لحسابهم .. أو حتى ليسألوا هؤلاء السادة والكبراء : لمن تكدسون هذه الأسلحة ؟! لا يمكن أن تكون لأعداء الأمة العربية والإسلامية والعالم ينهش لحومها ويهتك أعراضها .. فى البوسنة والهرسك .. وفى الهند الهندوكية .. وفى بورما البوذية ، دون أن تحركوا ساكناً !! .

ولا يمكن أن يقول السادة والكبراء : إننا نعدها لإسرائيل التى ـ برغم المفاوضات الدائرة ـ لم تتوقف عن سفك دماء العرب فى الأرض المحتلة ، وفى الجنوب اللبنانى .. بل وفى غزة وأريحا برغم وجود الشرطة الفلسطينية ونظم وقوانين الحكم الذاتى .. فضلاً عن الاعتداء الشرس على مقدساتنا الإسلامية فى كل فلسطين .

وحتى لا نخدع أنفسنا يجب أن نكون صرحاء معها ونعترف بأن دمـاء العـرب والمسلمين هى أرخص الدمـاء على وجـه الأرض .. بل أصبحت ـ ليس فى نظر أعدائنا .. بل فى نظرنا نحن ـ أرخص من دماء الكلاب الضالة ، والحشرات المعادية لبنى الإنسان !! .

ولسنا فى حاجة إلى أن نسوق الأدلة .. لأن الأدلة والبراهين القاطعة يعرفـها الدانى والقـاصى ، ويعيـهـا المتعلم والجاهل .. هل نسينا تلك الحرب الجاهلية بين العراق وإيران التى استمرت ثمانية أعوام حسوماً أكلتْ خلالها الأخضر واليابس وسفكت فيها دماء أكثر من مليون غير ضعف هذا العدد من ذوى العـاهات ؟!! ومن بعدها محاولة ابتلاع الكويت كدولة شقيقة مستقلة وذات سيادة مما خلَّف الدمار والخراب ، وإزهاق الأرواح ، وإسالة الدمـاء ، وتفـريغ خـزائن العـرب فى حـرب خاسرة ؟!!

وهل نسينا مـا حدث فى الصـومـال .. وفى تشـاد .. وفى اليـمن الجنوبى من قبل .. واليمن الموحد من بعد .. وماحدث ولا يزال يحدث فى أفغانستان ؟!! إنها دماء مسلمة وعربية رخيصة سفكت بأيد عربية ومسلمة ، وبأسلحة عربية ومسلمة .. إن هذه الدماء الرخيصة تساوى أضعاف أضعاف الدماء المسلمة الغالية التى سفكت فى البوسنة والهرسك .. وفى الهند .. وفى كشمير بأيدى صليبية وهندوكية ، والدماء العربية الغالية التى سفكت فى الأرض المحتلة والجنوب اللبنانى بأيد صهيونية قذرة !! .

* * *

والخلاصة

فى أقل من عامين بلغ عدد الضحايا فى الجزائر أكثر من عشرة آلاف .. والسلطة هناك هى المسئول فى المقام الأول .. وهى التى بدأت بالغطرسة والاعتداء على الشرعية والدستور .. وما من حرب أهلية أو شبه أهلية إلا وأصابع السلطات الغاشمة وراءها .. سواء أكانت الحرب بين السلطة والشعب ـ كما هو الشأن فى الجزائر ـ أم كانت بين السلطة والسلطة .. بمعنى النزاع على السلطة ـ كما هو الشأن فى الصومال وأفغانستان ـ وكما كان الشأن فى اليمن الجنوبية منذ سنوات !!

ولا جدال فى أن الدافع إلى ذلك كله هو شهوة الزعامة وشهوة السلطة .. فإذا كانت الزعامة أيسر الطرق لفرض السلطة .. فإن السلطة هى كذلك أيسر الطرق لفرض الزعامة .. والمأساة تكمن فى أن كلتا الشهوتين : شهوة السلطة وشهوة الزعامة موجهة إلى الشعب الأعزل المسكين !! .

من أجل شهوة السلطة وشهوة الزعامة ترك عبد الناصر ـ الزعيم الأوحد ـ إسرائيل تسرح وتمرح ، واتجه إلى احتلال اليمن لسفك دماء العرب المسلمين بأيدى عرب مسلمين .. كان الزعيم يحلم بإمبراطورية من المحيط إلى الخليج .. وما دام قد فشل فى تحقيق حلمه عن طريق الوحدة مع سوريا [١٩٥٨/٢/٢٢ وحتى ١٩٦١/٩/٢٨م] فقد وجد الفرصة سانحة واتجه إلى اليمن إثر الانقلاب هناك فى [١٩٦٢/٩/٢٦] أى بعد انفصال سوريا بأقل من عام واحد .. وكان ـ الزعيم الأوحد ـ مخلب قط لأمريكا ولحساب إسرائيل !! .

وخَلَفَ عبد الناصر فى الحلم بإمبراطورية ـ ولو أفريقية محدودة ـ

قزم ليبيا الذى كان عبد الناصر يرى فيه شبابه ، والذى ورث ثروة ليبيا .. وبدلاً من أن يتجه إلى إسرائيل اتجه إلى تشاد .. لقد أصبح الآن أحد البهلوانات العربية التى تثير الضحك والاشمئزاز معاً !! .

وحافظ الأسد ترك بنى صهيون يسرحون ويمرحون فى الجولان السورى واتجه إلى لبنان ، لم يطلق رصاصة واحدة على جيش الاحتلال اليهودى منذ الخامس من يونيو ١٩٦٧م ولكنه أطلق رصاصه على الشعب السورى لقتل عشرات الألوف فى حمص وحماة [٤٠ ألف قتيل فى مذبحة حماه وحدها من خيرة شباب سوريا] !!

* * *

وخلاصة الخلاصة

ما دامت دماء العرب والمسلمين هى أرخص دماء على وجه البسيطة فى نظرنا نحن ـ العرب والمسلمين ـ فمن باب أولى أن تكون أكثر رخصاً فى نظر أعداء العروبة والإسلام .. وقبل أن نلوم أعداءنا يجب أن نلوم أنفسنا ..

قبل أن نلوم أمريكا التى سلحت طاغية العراق وجعلته يترك إسرائيل تفعل ما تشاء فى المنطقة ، ويتجه إلى الكويت لاحتلالها ، ثم تعود إليه أمريكا مرة أخرى لتدمر الترسانة العسكرية فى العراق ، وتستنزف دم الشعب العراقى ، وتسيطر على المنطقة البترولية .

قبل أن نلوم أمريكا نلوم الطاغية الذى ترك أمريكا لتصنع منه مخلب قط لمصلحة إسرائيل .. وقد حرصت أمريكا على بقاء صدام ليظل « بعبعاً » تخيف به دول المنطقة حتى تظل تحت أقدامها لتحميها من شرور (هولاكو) القرن العشرين !! .

كان طاغية العراق مشغولاً بأوهامه .. لم يتعظ بسلفه فى مصر « طاغية بنى مر » الذى صنعت منه أمريكا مخلب قط ، وزجت به إلى اليمن لتدمر الترسانة الحربية المصرية ، وتستنزف دم الشعب المصرى .. وكل ذلك من أجل سواد عيون ربيبتها إسرائيل !! .

* * *

عدو غاشم .. وأمة تلهو !!

ليس هناك أدنى ريب فى أن الأمة المسلمة اليوم تواجه عدواً غاشماً: سياسياً .. وفكرياً .. وعسكرياً .. عدواً حاقداً عرف موطن الضعف فى هذه الأمة فتمادى فى البغى عليها ، والاستخفاف بها .. وموطن الضعف فيها هو قابليتها للاستسلام والتخاذل واللامبالاة .. حتى صارت هذه الرذائل جزءا لا يتجزأ من كياننا ، وأصبحنا نحن مكلفين بها بعد أن تحولت لدينا إلى متعة شهية نحرص عليها !! .

تركنا إسرائيل ـ منذ زهاء نصف قرن ـ تستبد بنا ، وتتطاول علينا ، وكلما لطمتنا على خدودنا اليمنى أدرنا لها خدودنا اليسرى .. وحتى بعد أن أحرزنا انتصاراً ـ ولو محدوداً ـ عليها فى عام ١٩٧٣م لم نستثمر هذا الانتصار المحدود لمصلحتنا واستثمرته إسرائيل لمصلحتها حين عقدت معاهدة الصلح المشئومة مع مصر فى الخامس والعشرين من مارس ١٩٧٩م .. بل إن إسرائيل اعتبرت معاهدة « كامب ديفيد » نصراً لها لا يقل عن نصرها فى الخامس من يونيو ١٩٦٧م .

بالنسبة لإسرائيل نتعلل بأنها ليست وحدها .. فأمريكا تقف إلى جانبها جهاراً .. وأمريكا سيدة الموقف .. وأوربا الغربية تساندها من وراء ستار وعلى استحياء ..

وبالنسبة لكارثة البوسنة والهرسك نتعلل ببعد الشقة بيننا وبين هذه الجمهورية الإسلامية .. ولكن بم نتعلل .. وقد رأينا الهند الوثنية تعمل على إبادة مسلمى الهند وكشمير .. والطغمة العسكرية الفاشية تعمل على إبادة الشعب المسلم فى بلغاريا .. وفى أرتيريا .. وحتى فى بورما والفلبين وتايلاند ؟! .

لقد سقطت دولة زنجبار المسلمة من قبل فى قبضة صديق عبد الناصر « القس نيريرى » ولم نحرك ساكناً !!.

ومنذ عام سقطت أريتريا العربية المسلمة فى يد القبيح « أسياسى أفوركى » الأفاق الشيوعى والصليبى معاً ، فبادر بتوثيق العلاقة مع إسرائيل دون مواراة ، وبقطع الصلة مع العرب ، ورفض الانضمام إلى الجامعة العربية .. بل وقرر أخيراً إلغاء تدريس اللغة العربية فى مدارس أريتريا .. ولم نحرك ساكناً .. بل على العكس فالدول العربية التى تتمتع بالغباء السياسى هى التى بادرت بالاعتراف بالنظام المعادى للعروبة والإسلام فى بجاحة واستخفاف !!.

أجــل ..

نحن نواجه عدواً غاشماً يتميز بالسفاهة والوقاحة والحقد .. وجميع فصائل هذا العدو بشتى ألوانها : صليبية كانت أم صهيونية .. علمانية كانت أم وثنية .. جميع هذه الفصائل المعادية لنا تخرج من أصل واحد، وتسقى بماء واحد ، وتصهر فى بوتقة واحدة صنعت من الحقد .. وجماع هذه العبارات عبارة واحدة تقول : « الكفر ملة واحدة » !!

ولكن الاعتداءات الشرسة على هذه الأمة .. وبخاصة ما حدث فى البوسنة والهرسك من انتهاك لأعراضنا .. هذه الاعتداءات المتواصلة على الرغم من شراستها ــ لا تحرك ساكناً باستثناء الأزهر ــ عفا الله عنه ــ فقد دعا إلى القنوت يوم طردت إسرائيل فى العام الماضى أكثر من أربعمائة فلسطينى لكى يستقروا فى العراء بجنوبى لبنان .. ويوم مجزرة الحرم الإبراهيمى دعا إلى صلاة الغائب على الشهداء !

ونحن لا نلوم الأزهر ــ وشكر الله سعيه ــ إذ ليس من الإنصاف أن نحمله فوق طاقته بعد أن تحول من معنى إلى مبنى ، ولم تجد عليه الأيام بشيخ « كالمراغى » الذى تحدى « الحلفاء » فى الحرب العالمية الثانية

ـ ومصر تحتلها بريطانيا ـ حين صرخ من مسجد الأزهر بقوله : « هذه حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل » .. أو بشيخ كالشيخ « عبد المجيد سليم » الذى أعلنها مدوية ـ والملك فاروق ينفق ببذخ على ملذاته ـ قال: « تقتير هنا .. وإسراف هناك ؟!! » مشيراً بذلك إلى إحدى رحلات الملك فى جزيرة كابرى بإيطاليا !! .

والذى لا جدال فيه :

أن هذه الأمة ـ وإن أصاب مشاعرها وأحاسيسها الجمود إزاء ما يرتكب ضدها من جرائم بشعة شرسة .. إلا أن هذه الأمة ترتفع فوق كل الأحداث ولم تفقد بعد هويتها فى اللهو .. لقد وقعت المجزرة البشعة فى الخامش عشر من رمضان .. مجزرة فاقت كل صور البربرية والهمجية فى أحط العصور ، فلم تتأثر برامج التلفاز وجلها يدعو إلى العبث .. وبخاصة « الفوازير الهابطة والمسلسلات الراقصة » !! .

ونقول لمجرد الذكرى :

منذ أعوام حدث فى مدينة أسبانية أن انهار سقف أحد البارات الصاخبة ، فلقى بعض السكارى مصرعهم ، فأعلنت المدينة الحداد ، وألغيت الاحتفالات الخاصة برأس السنة .. مراعاة لأحاسيس الناس ومشاعرهم !! .

ولما هلك المغنى ـ عبد الحليم حافظ ـ مطرب المراهقين والمراهقات خرجت صحيفة يومية « الأخبار » مجللة بالسواد .. وظهرت مذيعات التليفزيون بملابس الحداد .. شاحبات الوجوه ، وعلى الخدود قفزت دمعات ساخنات !!

وحدثت ـ على سبيل المثال ـ مجزرة الحرم الإبراهيمى حيث استشهد عشرات الركع السجود ، وجرح المئات ، ولم يتغير شيء من برامج التلفاز العابثة الماجنة .. الفوازير بكل رقصاتها الخليعة ، والغناء

المقزز ، والمسلسلات الهابطة من كل جنس ولون .. لم يكن متوقعاً أن يراعى التلفاز حرمة الشهداء ..وهو الذى لم يراع حرمة الشهر الكريم !!.

دعك من كرة القدم وما فعلته بالشعوب ، وأزمات النوادى واللاعبين .. حيث كانت تحتل مساحة أكبر بكثير من مساحة مجزرة الحرم الإبراهيمى الرهيبة .. إن صحف المستنقع التى لم تنشر شيئاً يذكر عن المجزرة الرهيبة حاولت أن تصرف أنظار القراء عن الكارثة فكتبت عن غزو الحجاب والنقاب مدارس البنات .. كما كتبت عن الملصقات [الإرهابية] التى تدعو الفتاة المسلمة إلى ارتداء الحجاب !! .

والسادة والكبراء .. كانت الكارثة فى واد وهم فى واد آخر :

ظل تليفزيون سلطنة عربية يعرض على شاشته أياماً متواصلة مهرجانات الاحتفال بعيد رمضان .. وفود بالألوف .. أعنى مئات الألوف زحفت إلى العاصمة بالطبول والمزامير لتهنئة « الجالس على العرش » بالأغانى والرقصات الشعبية ، قالت المذيعة [السافرة] : إن الشعب .... قطع الأميال ، وتحمل المشاق ليعبر بصدق عن حبه وتقديره لقائد المسيرة .. اعترافاً بأمجاده فى المسيرة العربية .. وآخر أمجاده ـ كما ذكرت إذاعة لندن فى ١٩٩٤/٣/٢٧م دعوته الرسمية لإسرائيل للاشتراك فى المؤتمر الخاص بالمياه فى عاصمة البلاد .. وكان الوفد الإسرائيلى هو أكبر الوفود عدداً !! .

النكبات تتوالى على هذه الأمة .. وقافلة اللهو تسير :

ولك أن تتصور ما نشرته الصحف يوماً ما :

إن إمارة عربية لا يبلغ عدد سكانها عدد سكان أصغر حى بالقاهرة، واحتفالاً بعيد رأس السنة دعت المغنى المصرى [عمرو دياب] لإحياء ثلاث حفلات مقابل أكثر من مائتى ألف دولار ـ فقط ـ وذكر الخبر الصحفى أن الدعوة لإقامة الحفلات الثلاث وجهت أولاً إلى المغنى

الأمريكي المخنث [مايكل جاكسون] مقابل ستمائة ألف دولار فقط لا غير .

ومايكل جاكسون ـ المتهم بالشذوذ الجنسي [الاتهام موجه إليه من قِبَلِ بلده أمريكا] هو الذى سبق أن سبَّ العرب حين قيل له : إن العرب يعشقون صوتك .. فقال: « لو كنت أعلم ذلك لاعتزلت الغناء » .

وبرغم وقاحة المطرب المخنث القبيح .. إلا أن دولة عربية سبقت بتوجيه الدعوة إليه منذ مدة مقابل مليون دولار بالإضافة إلى تكاليف الإقامة له ولفرقته .. وقيل : إن ثمن التذكرة فى الحفلة التى سيحييها تقرر أن يكون ألف دولار فقط .. ولكنه اعتذر .. اعتذر استهانة واستخفافاً !!.

وماذا نقول ؟

نقول : يبدو أننا ـ كشعوب متحضرة ـ رأينا أن نواجه الاعتداءات البشعة المتكررة علينا باللهو .. لنثبت أننا أكبر من الأحداث .. أعنى الجرائم التى تسفك دماءنا ، وتهتك أعراضنا .. وتستخف بوجودنا !!

لقد حدثت المجزرة الرهيبة فى فجر الخامس عشر من رمضان الفائت .. ولم نكن ننتظر أن تبادر أنظمتنا بالثأر لهذه الدماء البريئة .. لأن شريعة الجهاد فى سبيل الله أصبحت ـ فى نظرها ـ تطرفاً وأسلوباً غير حضارى .. أما حين يتصل الأمر بنزاع على السلطة فإن الحرب الأهلية تصبح جهاداً مقدساً ، ويصبح الضحايا من القتلى الذين ماتوا ميتة جاهلية : شهداء أبراراً .. أحياء عند ربهم يرزقون !! .

ولم نكن نتوقع ـ بالطبع ـ أن تحس وسائل الإعلام بالمأساة ، وأن تثبت ـ ولو مرة واحدة ـ أن لديها بقية من الحياء فتخفف ـ على الأقل ـ من وطأة البرامج العابثة فى التلفاز ، وتتفادى مناظر الرقص الفاجر فى المسلسلات ، والفوازير ، والمسرحيات ، والأفلام الهابطة .. ولكن وسائل الإعلام أثبتت أن لا مكان عندها للحياء !! .

والإسلام .. هو الحل

أجل والإسلام هو الحل .. نقـولهـا بملء أفـواهنا دون أن نخـشى فى الحـق لومـة لائم .. سـواء أرضى أم كـره أولئك العلمـانيـون الفـرغاء ، والمتاجرون بالكلمات فى صحف المستنقعات رغبة فى ذهب المعز .. أو رهبة من سـيفه !! .

إن الصحوة الإسلامية المدافعة عن كيان الإسلام الذى تعرض للمهانة بأيدى ـ أو على أيدى ـ السادة والكبراء الذين أضلوا شعوبهم السبيل .. تعرض للمهانة من شر خلق الله على وجه البسيطة .. هذه الصحوة بدأت تنتصر بمشيئة الله القادر على كل شىء !! .

ومهما أثير فى وجهها من غبار ، ومهما لفقت لها التهم ، ومهما قيل فيها ما لم يقله مالك فى الخمر ، فلن تتوقف عن مسيرتها .. لأن أعداء المسيرة هم عملاء القوى الباغية المتربصة بالإسلام الدوائر .. على مستوى الزعماء والأفراد .. لأنهم عراة من حيث لا يشعرون حتى ولو ارتدوا أفخر الثياب .. ولأنهم مصابون بالعِىّ حتى ولو توهموا أنفسهم فى بلاغة سحبان .. ولأنهم موصومون بالخيانة والعمالة حتى ولو ادعوا أنهم فى إخلاص أبى بكر الصديق ، وصِدْق عمر بن الخطاب ، وعفة خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العَزيز .. ولأنهم جبناء ولو سَوَّلَتْ لهم أنفسهم أنهم فى شجاعة خالد بن الوليد ، وبسالة صلاح الدين !! .

إن الإسلام ـ ككل ـ هو المستهدف .. وإن المخططات الرهيبة التى تضعها القوى الخارجية المعادية بشراسة للأمة المسلمة والتى تستهدف تعجيز هذا الدين عن القيام بأى دور فى الحياة .. هذه المخططات وجدت

فى السادة والكبراء أدوات لتحقيق أهداف هذه المخططات بعد أن أوهمهم أعداء الأمة المسلمة بأن عروشهم معرضة للخطر بسبب الصحوة الإسلامية .. لأن الإسلام حين يسترد اعتباره ويقود مسيرة الحياة الصحيحة سيتحولون من أباطرة وأكاسرة إلى رعاع مشردين ، ولن يتمكنوا من الاستمتاع بمليارات الدولارات التى نهبوها من ثروات بلادهم !! .

إن ظاهرة : « الإرهاب والتطرف » لمرفوضة من التيار الإسلامى المعتدل والتى طفت على السطح فى الآونة الأخيرة ، وأصبحت شغلنا الشاغل حتى أصبحت تحتل أكبر مساحة من إعلامنا ، ولم تستطع جريمة مجزرة المسجد الإبراهيمى بالخليل أن تنافسها إعلامياً .. هذه الظاهرة من صياغة المخططات الرهيبة المعادية للأمة المسلمة ، وإبرازها بصورة بالغة الافتعال إنما تستهدف تشويه الصورة المشرقة لنظام الإسلام، وتضييق الخناق ـ بشراسة ـ على أية حركة تطالب بقيام الدولة الإسلامية، وعودة الحياة إلى الإسلام الصحيح ليقود المسيرة ، فيرد الاعتبار إلى الشعوب المسلمة لكى تكون صاحبة القرار بعد أن دامت عشرات السنين كمّاً مهملاً على هامش الحياة السياسية !! .

إن الأنظمة الشمولية اليوم تفعل كل ما فى وسعها ـ وهى المالك الحقيقى لوسائل الإعلام ـ لكى تدير طواحين الهواء ضد أى شىء من مخططات الأعداء ، وهم الذين فرضوا عليها ـ أى على هذه الأنظمة الشمولية ـ أن تصدق الوهم !! .

قال لى صديقى الشاب المسلم شريف أبو أحمد :

أمعنى هذا أنك تنكر ظاهرة الإرهاب والتطرف ؟!!

لا .. يا عزيزى .. ما يجرى الآن ليس أكثر من مناوشات يغلب عليها التصرف الطائش والسلوك الفردى .. وليس الجماعى ، كما يغلب عليها فى أحيان أخرى طابع الثأر .. وبخاصة أن معظم الحوادث يقع فى

الصعيد .. وليس هو الشأن فى إسرائيل .. حيث يمثل الإرهاب عصابات منظمة .. أو فى إيرلندة .. حيث يمارس الإرهاب ضد بريطانيا جيش أطلقوا عليه : « الجيش الجمهورى » .. أو فى الهند حيث عصابات السيخ والهندوس .. إن النظام الحاكم فى إسرائيل يواجه انتفاضة الشعب الفلسطينى .. ولا يواجه جرائم العصابات الصهيونية .. لأن الدولة نفسها قامت على الإرهاب .. وفى غير إسرائيل نجد مواجهة الأنظمة للإرهاب سياسياً .. والعكس فى بعض الدوائر العربية .. فالباعث على المواجهة الدفاع عن الأنظمة الشمولية من ناحية .. ومن ناحية أخرى عرقلة مسيرة الإسلام .. ويتوافر بذلك رضى الطرفين : « الأنظمة » وسادتها فى أوربا وأمريكا !!!

* * *

ونعود من حيث بدأنا :

أعنى : التشبث بقاعدة : « الإسلام هو الحل » !!

وفى هذا المجال نركز على أمور رئيسية ثلاثة :

أولاً :

نحن نتعمد الخلط بين الألفاظ لكى نلقى ظلاً من الشك على مسيرة الإسلام الحق الذى رضيه الله لعباده ديناً .. ونتعمد أن نتصور أوهاماً على أنها حقائق .. يزعمون أن الداعين إلى قيام دولة مسلمة هم فى واقع الأمر داعون إلى قيامة حكومة دينية .. بالرغم من علمنا أنه لا كهنوت فى الإسلام .. وليس هناك أدنى أمل فى إقناع المرجفين فى المدينة .. ما دام هناك عمد ـ مع سبق الإصرار ـ لتشويه المسار الإسلامى، والتشكيك فى نوايا حملة المشاعل !! .

وحتى الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية أصبحت فى نظر

المرجفين فى المدينة دعوة مشبوهة .. أما الحقائق التاريخية ومنها : قيام الدولة المسلمة ، وتطبيق الشريعة الإسلامية .. ولو فى مراحل معدودة ومحدودة فلا اعتبار لها فى نظر : ﴿ .. **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم** ﴾ [محمد : ١٦] .

ثانياً :

هل هناك أدنى ريب فى أن الأمة العربية والمسلمة تعيش أقسى محنتها وأحلك أيام حياتها .. لقد طمع فيها حثالة الناس ، وشرار الخلق، تتوالى عليها الهزائم ولا تملك إلا أن تلعق جراحها .. وعلة هذا أن مصائر هذه الأمة التعسة بأيدى أنظمة شمولية جاثمة فوق صدور الشعوب التى لم تعد تملك إرادتها حيث سيوف الإرهاب الحكومى مسلطة على رقابها !!!

هل استطاعت التشريعات الوضعية القائمة أن تحول دون تكبيل الشعوب بالقروض ، والمعونات التى تنال من كرامتها ؟!! إن معظم هذه الدول العربية والمسلمة فى استطاعتها أن تحصل على الاكتفاء الذاتى لو أن القائمين عليها اتقوا الله فيها ، ولم ينهبوا خيراتها ، ويسطوا على ثرواتها .. لقد هلك شاه إيران ورصيده فى مصارف الولايات المتحدة ودول الغرب أكثر من ثلاثين مليارا من الدولارات .. ويوم يكشف عن ساق حيث ينتهى الطغاة ويظهر ما نهبوه من ثروات الشعوب سوف يقوم التاريخ بتولى حسابهم .. ولكن بعد فوات الأوان !! .

ثالثاً :

أو قد ثبت يقيناً أن الأمة المسلمة فى محنة عاتية ، وأن دينها قد تآمر عليه القاصى والدانى ، وأن تشريعاتها الوضعية فشلت فشلاً ذريعاً فى أن تسترد للأمة اعتبارها ، ولشعوبها كرامتها ، لأنها صيغت لمصلحة سادتها وكبرائها ، وأن وجود برلمانات لم يغير من الأمر شيئاً ، لأنها تظم

بهلوانات تمارس الدجل والتهريج والاستعراض !!

أو قد ثبتت هذه المخازى .. فَلِمَ لا تُعْطَى الفرصة للإسلام ولو على سبيل التجربة ليحمل عبء الخروج من المـأزق ؟ !!

قـد يكون من الصـعب اليـوم أن يتـحـقق ذلك وأمـريكا والغـرب الصليبى فى يقظة تامة .. والأنظمة الشمولية جميعها ليست أكثر من دُمىً تحركـها أصابع واشنطن وعواصم الغرب الصليبى .. ولكن تقلبات الحيـاة سُنَّةٌ من سنن الله عز وجل .. ولن تظل أمـريكا إلى الأبد سيـدة الموقف .. ولن تظل الشعوب المسلمة إلى الأبد كمّـاً مهملاً .. كل ما ينقص هذه الشعوب هو الإيمان .. وهو قـادر على أن ينفض عنهـا غبـار الذلة والمسكنة ، ويحملها على أن تسترد اعتبارها .. إن شاء الله تعالى .

﴿ .. **ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً** ﴾ [الإسراء : ٥١]

(صدق الله العظيم)

* * *

وأخيراً .. وليس آخراً

وماذا عن الشخصية الإسرائيلية

في مصر عالمان جليلان على دراية واسعة باليهود ، وقدما إلى المكتبة الإسلامية دراسات تحليلية متعمقة عن طبيعة الشخصية اليهودية .. والعالمان الجليلان هما الدكتور « حسن ظاظا » الأستاذ بكلية آداب الإسكندرية ، والأستاذ « السيد محمد عاشور » العالم التاجر بالقاهرة .. ولندع الدكتور حسن ظاظا يجيب عن السؤال المطروح من خلال كتابه : «الشخصية الإسرائيلية » :

المؤلف يدعونا إلى أن يكون ماثلاً أمام أعيننا هذه الحقائق :

أولاً : لا فرق بين « اليهودى والصهيونى » فاللفظان مترادفان ، فى خصوصية شرسة ودامية ضد العرب والمسلمين فى العصر الحديث .. وما خفى كان أعظم !!

***

ثانياً : كان لا بد أن تتناول الصهيونية النصوص الدينية التى يقدسها اليهود ويتعبدون بها لأجل أن تصب كلها فى مستنقع الاستعمار الاستيطانى لفلسطين ، ولكى تتورط مع الصهيونية ـ فى أوحال هذا المستنقع ـ أمم أغراها الطمع ، أو التهبت نفوسها بثارات قديمة ، وأحقاد كانت خمدت ونامت منذ هزيمة الغزو الصليبى للعالم العربى فى العصور الوسطى .

ثالثاً : هناك قول مأثور ردده التلمود مراراً :

« وكما أن العالم لا يمكن أن يعيش بلا هواء .. فإنه لا يمكن أن يعيش بدون إسرائيل » .

فهذا القول ـ وحده كاف لوضع علامات على حدود الشخصية الإسرائيلية .. إذ يمكن ـ بسهولة ـ أن نستنتج منه النزعة العنصرية التى تجعل الإسرائيلى يشعر أنه من جوهر غير طينة البشر جميعاً .. فنحن نرى كيف يتحول الإحساس بالقلة والذلة إلى صورة لا مثيل لها من الغرور وجنون العظمة ، والصلف والكبرياء التى تجعل عودة تلك القلة من الناس إلى إطار المجتمع الإنسانى السليم أمراً مستعصياً .

* * *

رابعاً : إن عقدة الانفصال عن البشر ، والامتياز على أمم العالم اتخذت طريقها إلى النفسية الإسرائيلية ، وأصبحت عاملاً أساسياً فى تكوين شخصية هذه الطائفة من الناس منذ القدم .. على الرغم من أن جميع البحوث الاجتماعية والتاريخية والأنثروبولوجية تؤكد أن اليهود من أبعد الجماعات البشرية عن النقاء العنصرى الذى يدَّعيه !! .

* * *

هذا ويرى الدكتور ظاظا أن هناك مقومات ثلاثة للشخصية الإسرائيلية هى :

(أ) التعصب العنصرى حول أسطورة خاصة بالأعراق والأنساب .

(ب) التعصب الدينى حول شريعة اعتبرها اليهود خاصة بهم .. لأنهم شعب الله المختار !!

(ج) حتمية الصراع ، وفناء أمم العالم أمام إسرائيل !!

ويضيف الدكتو حسن ظاظا :

ولما كانت هذه المقومات الثلاثة تدور حول فكرة واحدة .. هى فكرة « الامتياز » و« الاستعلاء » و« الانفصال » عن البشر .. فقد اقتضى ذلك فى الفكر الإسرائيلى بعض التفصيلات المهمة التى دعمت تلك المقومات :

١ ـ إيمان اليهوذ العميق بحقارة الأمم .

٢ ـ مديح اليهود لأنفسهم .

٣ ـ العنصرية فى التنظيم الاجتماعى الإسرائيلى .

* * *

وينتهى الدكتور حسن ظاظا إلى أن الصهيونية : فكراً وسلوكاً وتطبيقاً موبوءة بالتعصب العنصرى .. والتعصب الدينى .. وعقد الشعور بالاضطهاد .. والفزع من اللاسامية .. كما أن الصهيونية مصابة بأورام انتقلت عدواها إليهم من طغاة كثيرين فتكوا بالإسرائيليين ـ جزاء سلوكهم ـ فراح الغلاة من الصهاينة يقلدون أولئك الطغاة السفاحين .

* * *

ونقول نحن : هل يلام هتلر على قوله :

« اليهود فئران قذرة .. وجراثيم طفيلية ماصة للدماء .. وظالمون عتاة » ؟؟ !!

* * *

أربعة أفكار يقوم عليها حزب كاهانا
وغولدشتاين يعتقد أن قتل العرب مهمة دينية

كان باروخ غولدشتاين ، كما هو معروف من أعضاء حزب كاخ الذى أسسه مائير كاهانا ، وكان كاهانا قد استقى مبادئ حزبه وأفكاره من الدين اليهودى كما يراه من وجهة نظره . والأفكار الرئيسية التى تتبناها الكاهانية ـ كما سميت أفكار كاهانا فيما بعد ـ هى أربعة تتلخص كالآتى :

فكرة الشعب المختار حيث تستدل الكاهانية بعبارة التوراة « **أنت اخترتنا من بين الشعوب** » وغيرها من العبارات ، وترى فيها أن الرب اختار اليهود وحدهم فى صحراء سيناء .. لذلك فهم شعب فريد ومتميز . ولما كانوا كذلك فعليهم الانفصال عن بقية الشعوب حتى لا يتلوثوا وتذهب خصوصيتهم تطبيقاً ـ كما يدّعون ـ لقول التوراة « أفضل المفسد عن الخبيث » وترى الكاهانية أن اليهودية تتوقف على فكرة الشعب المختار .

والفكرة الثانية هى : « أرض المعاد » فالكاهانية ترى بأن حب الأرض فريضة دينية مهمة ، والرب يريد لإسرائيل أن تحتفظ بالأرض لأنه أودعهم بها .. لذلك تحتم الفريضة الدينية على اليهود أن يهاجروا إليها ويسكنوا فيها وفى كل مكان منها ويحرروا أجزاءها ويحتفظوا بكل جزء احتلوه منها وأى تفريط منهم بها يعتبر ارتداداً عن شريعة الرب كما يدعون ، ورفضاً لها .. فأرض إسرائيل هى بلد لليهود ولا يشاركهم أحد فيها .

والفكرة الثالثة هى تبنى العنف . فالعنف كما ترى الكاهانية هو واجب شرعى على كل يهودى أن يقوم به من أجل سلامة اليهود . والعنف شىء مقبول شرعاً حتى لو كان على حساب إذلال الآخرين والتنكيل بهم .. إذ أن شخصيات اليهودى التاريخية كانت قد تبنت العنف، وترى كذلك بأن من لا يحترم فكرة العنف من زعماء اليهود ليس جديراً بالاحترام .

والفكرة الرابعة هى « المسيحانية » أى الإيمان بمسيح يهودى مُخلّص والعمل من أجل ظهوره .. فالكاهانية ترى بأن من علائم الظهور إنشاء دولة إسرائيل .. ولما كانت من علائم الظهور فيجب أن تكون خاصة باليهود دون غيرهم .. وطبقاً لخطة الرب هذه بالنسبة إلى الدولة فإن العرب لا مكان لهم .. لأن وجودهم يؤثر تأثيراً سيئاً على اليهود ، ويفسد جوهر اليهودية ، وهم كذلك يؤثرون على طبيعة الدولة اليهودية ويفسدونها .. وفى كتاب لكاهانا عنوانه : « **الفكرة اليهودية** » تحدى كاهانا اليهود الذين يقولون : إن المخلص يأتى مع وجود العرب فى إسرائيل (هذه الأفكار مستخلصة من مقال مطول كتبناه حول كاهانا فى « الحياة » ٢٠ ـ ١٩٩٠/١٠/٢٢م) ولا بد أن نذكر بأن هذه الأفكار يرتبط بعضها بالبعض الآخر ارتباطاً وثيقاً .

وتدعى الكاهانية كذلك أن الرب قد عبّر عن نفسه فى هذه الأرض من خلال الشعب اليهودى ـ الشعب المختار ـ وعندما يكون هذا الشعب قوياً فإن جلاله يظهر وقوته تبين للجميع .. وعندما يكون ضعيفاً ذليلاً فإن الرب يدنس اسمه ويختفى جلاله ولا تبين قوته وقدرته .. ذلك فإن «قدوش هاشم » (تقديس الرب) يصبح مهمة مركزية لليهود ومسؤولية كبرى عليهم ليحققوا قدرة الرب وجلاله وذلك بقتل أعدائه .

وفى نظر الكاهانية أن أعداء اليهود وأعداء الرب هم العماليق فى كل زمان .. والعماليق تاريخياً طبقاً لروايتهم هى القبائل التى كانت

تهاجم بنى إسرائيل فى صحراء التيه وتقتلهم .. وجاء عنهم فى التوراة :

« وجاء العمالقة فحاربوا بنى إسرائيل فى فديم [خروج ٨/١٧] » .. وترى الكاهانية أن هؤلاء العماليق يجب تقتيلهم وإبادتهم إذ أمرت التوراة بذلك . وجاء فيها : « وقال الرب لموسى : اكتب هذا ذكراً فى كتاب وضع فى أذن يشوع بأنى سأمحو ذكر عماليق محواً من تحت السماء .. وبنى موسى مذبحاً وسماه الرب رايتى .. فقد قال : إن يداً ارتفعت على عرش الرب .. فالحرب قائمة بين الرب وعماليق من جيل إلى جيل (خروج ١٤/١٧ ـ ١٦) .

والعماليق فى نظر الكاهانية ليسوا مجموعة خاصة من الناس من جنس معين ولون معين .. بل يمكن أن يكونوا من أى جنس ولون .. وما يميزهم هو عداؤهم لليهود لسبب أو لآخر .. فقد تمثل العماليق بالنازيين فى الجيل السابق وفى هذا الجيل يتمثلون بالعرب وخصوصاً الشعب الفلسطينى كما يقول أتباع الكاهانية .. فالواجب شنّ الحرب على هؤلاء العماليق وتحطيمهم .. إذ أن الرب كما يدعون سيتقدس بذلك ويعلو ذكره ويظهر جلاله ، وبقتل هؤلاء سيزول الشر وسيكون ذلك علامة لعودة المخلص ومعجلاً بظهوره ، وعدم قتل هؤلاء يؤخر ظهوره ويعرقل قدومه ويخفى اسمه ويذّل اليهود ويضعفهم .

وجعل « كاهانا » ، عندما هاجر من نيويورك إلى فلسطين عام ١٩٧١م جعل مدينة الخليل مركزاً له ينطلق منها لمحاربة العماليق من أجل تحقيق النصر .. وقال إن السبب الذى دفعه لكى يجعل مدينة الخليل مركزاً أن هذه المدينة تذكّر بضعف اليهود وإذلالهم حين قتل العشرات منهم عام ١٩٢٩م .. إلى جانب فرض القيود عليهم عند زيارتهم لقبر النبى إبراهيم وقبور الأنبياء الآخرين المدفونين هناك .. ويقول أتباع الكاهانية : إنه على رغم وجود حكومة إسرائيلية فإن اليهود ما زالوا

کاهانا

مقيدين بأوقات معينة لزيارة هذه القبور ، وهذا يدل على ضعفهم والإذلال الذاتى لأنفسهم .. لذلك لا بد أن يقاوم هذا الوضع ويغير .

ويقولون كذلك : إن التنازل عن أى جزء من أراضى الدولة (الأرض الموعودة) ليس فقط مأساة سياسية لكنه أيضاً له تأثير على النظام الكونى بأجمعه لأنه سيؤثر على الخطة التلمودية التى وضعت من أجل انتصار اليهود على العماليق . ويرون انطلاقاً من وجهة النظر المذكورة أن (اتفاق المبادئ) بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية إنما يدل على ضعف اليهود لأنهم سيكونون تحت سيطرة الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة . ولما كانت الحكومة الإسرائيلية مترددة فى مواجهة الفلسطينيين وقتلهم فإن على أتباع الكاهانية أن يقوموا بهذا الدور ويؤدوا هذه المهمة ليعلنوا تقديس الرب بهزيمة العماليق (الأعداء) . وإن ما قام به غولدشتاين يأتى ضمن هذه الخطة وهذا التفكير ، واختياره لعيد « الفوريم » فى عمله الذى قام به لم يكن صدفة لأن عيد الفوريم هو احتفال بثأر اليهود من أعدائهم والقضاء عليهم . وقد كان على رأس هؤلاء الأعداء « هامان » . وكان « هامان » هذا من العماليق إذ ورد اسمه مرات عدة باسم « أجاج » ووردت قصة الثأر من هامان الأجاجى وأعداء اليهود فى التوراة فى «سفر أستير » حيث أن اليهود لما اكتشفوا تآمر هامان عليهم انتقموا منه وقتلوا الآلاف ممن خافوا منهم . لذلك يقول أتباع الكاهانية : إن غولدشتاين الذى يعتبر فى نظرهم قديساً ـ لم يفته التطهير بالاغتسال كل صباح ـ إنما قام بالقتل بدافع دينى لأنه لم يقتل أناساً أبرياء يصلون وإنما قتل عماليق مثل هامان وهتلر وغيرهم ، وهو بهذا العمل قد قدّس الرب ، كما يدعون ، ورفع ذكره وشأنه . وقتل أى شخص من العماليق يكون شرعياً حتى لو كان فى زمان أو مكان مقدس .. فعندما أخبر كاهانا بقتل قواسمه ـ أحد رؤساء البلديات العرب فى فلسطين ـ فرح واستبشر وقال وقتها « يجب أن نفرح ونسعد

حتى لو كان القتل فى أماكنهم المقدسة » وقال أحد أتباع الكاهانية بعد المذبحة : « ... إن العرب كانوا يصلون لكنهم فى صلاتهم هذه كانوا يتآمـرون على قتـل اليهود » .

ولا تستغرب كذلك عندما يقول أحد هؤلاء ممن حضروا جنازة غولدشتاين :

« لمـاذا يسمى الناس ما حدث مذبحة .. فالناس الذين قتلوا ليسوا أبرياء لأنهم كانوا يتآمرون على قتل اليهود » !

ولا نستغرب كذلك أن نقرأ بيان ممثل « كاخ » فى نيويورك الذى يقول :

« إن غولدشتاين كان رجلاً تقياً صالحاً درس التوراة وتشريعاتها ، وسينقذ عمله الآلاف من العرب واليهود بتبديده الفكرة الخاطئة التى تقول : « إن العيش سوية سيجلب السلام » . ولا نستغرب أيضاً عندما نسمع رثاء الحاخام دوف ليورد رئيس حاخامى كريات أربع الذى جاء فيه :

« إن باروخ غولدشتاين كان قديساً يحمل القيم والمثل العليا فى اليهودية » .. وكان هذا الحاخام يجيز إجراء التجارب الطبية على العرب الذين تقبض عليهم الحكومة الإسرائيلية بتهمة الإرهاب بدلاً من الأرانب والفئران .

ولا نستغرب أيضاً عندما يقول أحد أتباع الكاهانية بأن غولدشتاين كان أعظم يهودى فى أشياء كثيرة ، ويرى هذا الكاهانى القبيح أن تعلق لافتة على السيارات يكتب عليـها « باروخ أتّاه باروخ » يعنى (مبارك أنت يا باروخ) .

ولا شك أن أتباع الكاهانية الذين يتمثلون اليوم فى حزب « كاخ » وحـزب « كاهانا حى » ومـدرسـة « جبل الهـيكل » لهم الكثـير من

المتعاطفين معهم من اليهـود . وقد عبر عن هذا أحـد طلاب اليشيفوت (المدارس الدينية) قرب نابلس حين قال : « إن كل شخص هنا يعتقد بأن ما قام به غولدشتاين هو عـمل صحيح » .. ومن هؤلاء المتعـاطفين جماعة كبيرة من « غوش أمونيم » ، وبعض اليهود اللوبافتش الذين قال حاخام منهم اسمه غينسبوغ : « إن دم غير اليهود لا يصل إلى مستوى دم اليهود » وغير هؤلاء كثيرون .

ولا شك أن أتباع الكاهانية والمتعاطفين معهم سيكونون عقبة كبيرة فى طريق أى حل سلمى ، وخطراً عظيماً أمامه ليس من السهل القضاء عليه .. إذ أن هؤلاء لا يترددون فى إشعال حرب أهلية لا يقاتلون العرب وحدهم .. بل واليهود أيضاً . وقد عبّر عن ذلك أحد أتباع (الكاهانية) بقوله : « طبقاً لآراء ابن ميمون [الحاخام المشهور موسى بن ميمون] فإن أى يهودى يسلم اليهود إلى غير اليهود لا بد من قتله ... » .

ومما يزيد من هذا الخطر اليهودى أو الخطر الصهيونى هو تربية جيل من هؤلاء على المبادئ التى ذكرناها وتغذيته بها . فقد قرأت بعد حادثة المذبحة أن بعض الفتيات اليهود كن يَتَصَفَّحْنَ فى جريدة فيها بعض صور المذبحة ، وكن يتضاحكن على صورة الفلسطينى وقد خرج مخه من رأسه .. وعلقوا على هذا المشهد المـأساوى بقولهم : « هذا يدل على أن عند العرب مخـاً » .

إن تربية مثل هؤلاء على هذا النوع من التـفكير والعنصرية والكره سوف يبقى الصراع متأججاً والدم مسفوحاً لفترة غير قصيرة من الزمن .

جعفر هادى حسن

عن الحياة اللندنية

خاتمة

بقلم حسن عاشور

فى تطور مفاجئ وملاحقة سريعة للأحداث .. داهمتنا الأنباء و ـ الكتاب ماثل للطبع ـ بخبر الاتفاق النهائى على عقد « معاهدة سلام أردنية إسرائيلية » على غرار « معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية » وأن كل شيء قد أصبح جاهزاً فى « وادى عربة » لتوقيع المعاهدة كما توقعنا فيما سبق وكان ذلك تحت عنوان « ما قبل الكتاب » بحيث تنطلق حالة السلم بين الجانبين الأردنى والإسرائيلى اعتباراً من الساعة الحادية عشرة وخمس وأربعين دقيقة بتوقيت لندن [الواحدة وخمس وأربعين دقيقة بتوقيت الأردن] من يوم الأربعاء ٢١ جمادى الأولى ١٤١٥هـ الموافق ٢٦ أكتوبر ١٩٩٤م .

وفى الموعد المحدد .. وفى المكان المعد لذلك بوادى عربة بين (إيلات) و(العقبة) وبحضور كل من الراعى الأمريكى « بيل كلينتون » ، والعاهل الأردنى « الملك حسين » ، و« إسحاق رابين » .. وفوق المنصة الرئيسية وفى حماية ٢٦ ألف جندى يشكلون طوقاً أمنياً رهيباً لم يسبق له مثيل فى تاريخ زيارات الرؤساء جرى توقيع المعاهدة الأردنية الإسرائيلية بالأحرف الأولى لتصبح (المعاهدة رقم ٢) ضمن سلسلة المعاهدات المشبوهة فى (عالم السلام الخادع) الذى لا يرد أرضاً .. ولا يعيد حقاً .. ولا يوفر أمناً أمام العناد الإسرائيلى المتزايد الذى

يقوم على التوسع الاستيطانى ومواصلة احتلال الأرض العربية بقوة السلاح .

لقد قاطعت المعارضة الأردنية بكل فئاتها جلسة مجلس الأمة الأردنى (النواب) و(الأعيان) التى شهدت حفل التوقيع على المعاهدة .. وكانت وزارة الداخلية الأردنية قد منعت أحزاب المعارضة السياسية من التظاهر أمام البرلمان الأردنى وعددها ثمانية أحزاب بما فيها الحركة الإسلامية التى يشكل نوابها أكثر من ٢٠٪ من عدد النواب .. بالإضافة إلى أكثر من ١٢ نقابة مهنية طالبت جميعها بعدم المصادقة على المعاهدة وتحميل الذين تولوا كِبرهاَ المسئولية التاريخية إزاء ذلك .. كما أكدت هذه الأحزاب ومعها النقابات المهنية أنها ستقاوم هذه المعاهدة الباطلة التى لم يؤخذ فيها رأى الشعب الأردنى صاحب الكلمة الفصل فى البلاد ، كما أنها ستقاوم النتائج المترتبة على هذه المعاهدة فى المستقبل ، وتؤكد كذلك أنها سترفض رفع المقاطعة العربية عن العدو الصهيونى، وتصر على مواصلة الكفاح المسلح ودعمه فى الأرض العربية المحتلة .. ولقد اعتبرت هذه القوى الشعبية يوم الأربعاء ٢١ جمادى الأولى ١٤١٥هـ يوماً مأساوياً مجللاً بالسواد فى تاريخ الأمة العربية والإسلامية .. وهذا يذكرنا بموقف الشعب المصرى الحر الذى رفض (معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية) المسماة بمعاهدة الكامب عندما فوجئ النواب المصريون بمعاهدة تعرض عليهم لا يفقهون شيئاً من بنودها ، ولا يفهمون شيئاً من ألغازها ، ولا يعرفون شيئاً عن أسرارها ، وزيادة فى التمويه الساداتى أن المهزلة فى هذه المعاهدة قد وصلت إلى حد أن النسخة التى وزعت على المجلس النيابى المصرى لمناقشتها والتصديق عليها كانت « النسخة الإنجليزية » أى والله .. هكذا

أخبرنى أحد نواب المعارضة الذين حضروا الجلسة .. وكنا ساعتها نتساءل ونحن نعد لعدد جديد من أعداد « مجلة الاعتصام » التى نرجو أن تنكشف الغمة وأن يبزغ الفجر وتعود إلى قرائها من جديد :

كنا نتساءل :

كيف يتسنى لكل أعضاء المجلس النيابى المصرى قراءة النص الإنجليزى ونصف الأعضاء عمال وفلاحون ؟!!

كيف يتسنى لأعضاء المجلس قراءة النص الإنجليزى لمعاهدة تاريخية تحدد مصير الأمة العربية والإسلامية وبعض أعضاء المجلس النيابى من الأميين الذين لا يقرأون حتى العربية فضلاً عن الإنجليزية ؟!! وإن لم تَخُنَّا الذاكرة فقد كان أحد المرشحين لعضوية هذا المجلس فى بعض الدوائر التى نجح فيها منافسه بنسبة ضئيلة قد رفع دعوى قضائية ضد غريمه الذى فاز بمقعد الدائرة بحجة أن هذا العضو الفائز لا يعرف القراءة أو الكتابة .. وعرضت القضية على المحكمة التى استدعت العضو المتهم بالأمية ثم سلمته المحكمة نسخة من بعض الصحف العربية التى تصدر فى مصر ليقرأها فتلعثم العضو المحترم ولم يستطع أن يقرأ كلمة واحدة فى سطر من سطور هذه الجريدة .. وعند ذلك حكمت المحكمة بأحقية الشاكى الذى يلى زميله فى عدد الأصوات بمقعد الدائرة .. كما حكمت بإسقاط العضوية عن هذا الأمى الذى لا يعرف القراءة أو الكتابة .

***

المأساة تتكرر فى الأردن :

وهكذا تتكرر المأساة مرة أخرى فى الأردن بعد أن مرت مصر بالتجربة .. وهكذا يكون الحال دائماً فى الأنظمة الشمولية .. أو الأنظمة

العسكرية .. أو أنظمة حكم الفرد فى العالم العربى .

وبعـد .. فلقـد كنا نود أن يكون للطرف الأردنى (ثلاث لاءات) يعلنها على الملأ كشرط من شروط توقيع المعاهدة كما كانت لإسرائيل (ثلاث لاءات) شهيرة ظلت الدولة اليهودية تضعها حجر عثرة أمام كل محاولة للتوصل إلى حل سلمى بين العرب وإسرائيل .. وكما هو معروف فهذه هى (لاءات) إسرائيل الثلاث :

« **لا** » لمنظمة التحرير الفلسطينية وياسر عرفات . [وذلك قبل بروز حركة حماس الإسلامية وأطفال الحجارة على الساحة] .

« **لا** » لإيقاف أو تجميد المستوطنات .

« **لا** » للتحول عن جعل القدس عاصمة أبدية لإسرائيل .

أما كان يتوجب على الأردن أن يكون له هو الآخر ثلاث لاءات قبل توقيع المعاهدة المشئومة .. ثلاث لاءات تقول :

« **لا** » لاحتلال الضفة الغربية حتى الآن وقد كانت جزءا من الكيان الأردنى قبل عدوان ١٩٦٧ لا سيما وأن إسرائيل ما زالت تحتفظ فى سجونها بما يقارب الألف سجين أردنى من أهل الضفة الغربية ضمن الخمسة آلاف سجين الذين يقبعون خلف الجدران فى السجون الإسرائيلية التى لا تخضع لأى تفتيش محلى أو ترضخ لمعاينة أى لجنة من لجان تقصى الحقائق فى منظمات حقوق الإنسان .

« **لا** » لسرقة المياه العربية من كل دول الطوق .. وليس من الأردن فقط .. فإن قضية المياه هى أهم القضايا التى يتمحور حولها الصراع العربى الإسرائيلى ، وهى ترتبط ارتباطاً وثيقاً باقتصاد هذه الدول

التى تجمعها الجامعة العربية فى كتلة موحدة .

« لا » للترسانة النووية الإسرائيلية وأسلحة الدمار الشامل التى ترفض إسرائيل ـ بتغطية أمريكية ـ أى رقابة عليها مما يهدد المنطقة كلها بالدمار والهلاك التام .

هذه هى اللاءات الثلاث التى كان يجب أن تكون على رأس عدة لاءات أخرى يكون للأردن فيها موقف حازم قبل أن يوقع على معاهدة العار .. ولكن المملكة الأردنية الهاشمية لا تريد أن ترفع أى لاءات فى وجه إسرائيل حتى لا تغضب الراعى الأمريكى أولاً .. وحتى لا تغضب إسرائيل ثانياً وثالثاً وأخيراً .. حتى لا تغضب الراعى الأمريكى الذى تعهد كما أسلفنا بأن يعيد ترتيب البيت الأردنى ، وأن يسدد ديونه ، وأن يعالج اقتصاده ، وأن يرقع ما تمزق من علاقات الأردن بدول الخليج بعد أن تورط العاهل الأردنى فى مجاملته لمجرم العراق عندما ارتكب جريمته الشنعاء باحتلاله لدولة شقيقة بقوة السلاح وهى بلد عربى مسلم عضو فى الجامعة العربية وعضو فى مجلس التعاون الخليجى وعضو فى الأمم المتحدة وكل المنظمات الدولية .

* * *

فقط نذكر العاهل الأردنى :

ولا يفوتنا فى هذا المجال بعد أن أصبحت المعاهدة الأردنية الإسرائيلية حقيقة واقعة أن نُذَكِّرَ العاهل الأردنى الذى يعى التاريخ جيداً أكثر من غيره من زعماء العرب أن أولاد الأفاعى وشراذمة الأرض وأبناء القردة والخنازير لن يغيروا من طبائعهم الخسيسة ، ولن يبدلوا من خصائصهم الدنيئة ، وهم الذين جبلوا على الدموية والعدوانية ، ودرجوا

على الخيانة والغدر .. نذكره بأن اليهود ليس لهم عهد ولا وعد ، ولا يحترمون معاهدات أو اتفاقيات .. فضلاً عن أن جرائمهم قد تجاوزت كل المعدلات ، وأن آثامهم قد اسودت بها الصفحات ، وأنهم مصدر القلاقل والاضطرابات ، وأنهم وراء الدس والوقيعة والانقلابات ، وأن مذابحهم في الأرض العربية قد فاقت كل التصورات ..

وإذا كان الملك حسين قد نسى (مذبحة خان يونس) الشهيرة يوم ٣ نوفمبر عام ١٩٥٦ والتى تحمل قائمةُ القتلى فيها أسماء ٢٧٥ قتيلاً معظمهم من النساء والأطفال .. وإذا كان قد نسى (مذبحة رفح) يوم ١٢ نوفمبر من نفس العام ، وكان كشف الحساب فيها ١١١ قتيلاً .. فضلاً عن (مذبحة دير ياسين) التى أتت فيها الميليشيات اليهودية من عصابة « الاشتيرن والأرجون زفاى » على كل أبناء القرية فلم يبق منهم أحد تدب فيه الحياة فى مشهد مأساوى أثار اشمئزاز الصحافة الغربية وكل وكالات الأنباء العالمية ..

إذا كان الملك حسين قد نسى تلك المذابح كلها فإنه لن ينسى بطبيعة الحال مذبحة يوم ١٤ أكتوبر عام ١٩٥٣م حين هاجمت فرقة إسرائيلية تقدر بنصف كتيبة وهى المعروفة بـ (الوحدة ١٠١) القرية الأردنية (قبيَّة) ونسفت فيها واحداً وأربعين منزلاً ومدرسة على من فيها من الأهالى ، ثم جمعت بعد ذلك كل من تبقى من السكان الأحياء وعددهم ٤٢ بين رجال ونساء وأطفال وأدارت ظهورهم لتفرغ فيهم الرصاص وتحولهم إلى أشلاء ممزقة .. إضافة إلى بقية الضحايا من القتلى والجرحى فى الشوارع والأزقة وداخل المدارس والبيوت ودور العلاج !!

لقد كانت قرية (قبيَّة) الأردنية كما يعلم الملك حسين منعرجاً فى سياسة حمامات الدم الإسرائيلية .. إنها أول (عملية كبرى)

للوحدة الإسرائيلية ١٠١ الشهيرة التى أسسها (موشيه دايان) رئيس الأركان الإسرائيلى آنذاك ، وقادها الجزار (آريل شارون) وزير الدفاع خلال (مجزرة صبرا وشاتيلا) .

إن عملية القرية الأردنية « قبيّة » كما يعلم الملك حسين كانت تدشن أسلوباً جديداً فى خطط العدوان الصهيونى ضد العرب .. لقد تميزت مذبحة « قبيّة » الأردنية عن المذابح الإسرائيلية الأخرى بغايتها المستهدفة وصداها الواسع .. كانت عملية طموحة تجاوزت كل ما سبق من مذابح رغم أن عدد ضحايا الـ ٩٦ الذين لقوا حتفهم تحت أنقاض بيوتهم كان يقل عن عدد ضحايا بعض القرى الأخرى .. حيث كان على الجيش الإسرائيلى أن ينفذ العملية بنفسه بعيداً عن مليشيات (الأرجون والاشتيرن) مما جعل الإدانة مستحيلة .. وبطبيعة الحال وإزاء الاستفظاع الذى أثارته قضية القرية الأردنية « قبيّة » وتركيز الإعلام الأجنبى على نشر أخبار المذبحة فلقد أُجبر (دافيد بن جوريون) رئيس الوزراء على إلقاء خطاب بثته الإذاعة الإسرائيلية أنكر فيه مسئولية الجيش عن هذه المذبحة الرهيبة ليلقى باللائمة فيها على المتطرفين من كلٍّ من منظمة (الأرجون والاشتيرن) الإرهابيتين التى ارتكبت أفظع الجرائم الدموية منذ بدء الاستيطان وحتى تأسيس جيش الدفاع الإسرائيلى كما يسمونه هناك .

* * *

أول زيارة علنية يقوم بها الملك لإسرائيل :

وبعد أن مرت عدة أيام على توقيع معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية كان الملك حسين قد أعد العدة للقيام بأول زيارة علنية يقوم

بها العاهل الأردنى لدولة العدوان [من المعروف لدى الخاصة أن الملك حسين بن طلال سبق وأن زار الكيان الإسرائيلى عدة مرات زيارات خاصة أجرى خلالها بعض المحادثات السرية التى مهدت لمفاوضات مدريد والتقى خلالها مع كثير من الزعماء اليهود (حمائم وصقور) وليس هناك فى إسرائيل حمائم وصقور .. فكلهم صقور ولا ترتاح عيونهم إلا للون الأحمر القانى وهو يراق من الجسد الفلسطينى .. وذلك للتنسيق بين الطرفين على بعض الإجراءات الأمنية .. وهى ما كان بعض الخبثاء يطلقون عليها : إرهاصات السلام المرتقب] .

وفى هذه الزيارة التاريخية التى قام بها الملك حسين والتى لا تقل أهمية عن زيارة السادات المعروفة للقدس حضر الملك حسين افتتاح (معبر الشيخ حسن) الذى يربط بين إسرائيل والأردن بجنوب بحيرة طبرية فى إسرائيل .. وهو ثانى معبر تم افتتاحه بين الجانبين .. وقد تبادل الملك حسين مع رئيس وزراء العدو إسحاق رابين وثائق التصديق على معاهدة السلام وسط توقعات يؤكدها المسئولون الإسرائيليون أن السلام مع الأردن سيكون دافعاً وسيشمل علاقات تعاون اقتصادية وثقافية وسياحية ، وأن موانئ إسرائيل ستكون مفتوحة أمام البضائع والسلع الأردنية ، وأن الاتفاق قد تم على دعم مشاريع المواصلات وعلى رأسها خط سكة حديد يربط البحر الميت بالعقبة وإيلات !!

وهكذا تسقط أهمُّ دول الطوق [بعد مصر] فى مستنقع المعاهدات الخادعة لتربط نفسها بمعاهدة رسمية :

*** * قبل أن تتزحزح إسرائيل قيد أنملة عن القدس .**

**** وقبل أن تتنازل عن إعلانها على الملأ أنها عاصمة أبدية لإسرائيل .**

** وقبل أن تنهى إسرائيل احتلالها للضفة الغربية وقد كانت من قبل أرضاً عربية تتبع التاج الأردنى ، وتستظل بظل العرش الهاشمى .

** وقبل أن تفرج إسرائيل عن أكثر من ألف سجين أردنى فى السجون الإسرائيلية يعاملون أسوأ معاملة عرفتها سجون العالم مما كان سبباً مباشراً فى انتشار الأمراض والأوبئة التى تزايد من جرائها عدد الوفيات داخل هذه السجون كما تقول تقارير ووثائق منظمات حقوق الإنسان.

** وقبل أن تحل مشكلة المياه التى تسرقها إسرائيل وهى « عصب الحياة » بالنسبة لجميع دول المواجهة بحجة إسرائيلية واهية وهى أن الأطراف العربية والإسرائيلية قد اتفقت على وضع « ميثاق للمياه » يستهدف إدارة الموارد المائية فى المنطقة وهو ما تتهرب منه إسرائيل متذرعة بأن اللقاءات مستمرة فى إطار ما يسمى بالمفاوضات متعددة الأطراف حول المياه والتى تجرى فى العاصمة اليونانية أثينا !!

وما أسعد إسرائيل بعد أن حلّت ـ بالمعاهدة الأردنية ـ كبرى مشكلاتها عبر أطول جبهة فى مواجهة إسرائيل تمتد لأكثر من خمسمائة كيلو متر .

* * *

العقبة الأخيرة أمام إسرائيل :

والآن لم تبق من عوائق أمام إسرائيل فى « لعبة السلام المزيف » سوى سوريا ولبنان .. فإن التوتر الذى لازم كل المراحل فى « مفاوضات مدريد » متعددة الأطراف قد خفّت حدته إلى حدٍّ ما .. والجليد الذى صاحب كل الرحلات المكوكية لوزير الخارجية الأمريكى « وارين

كريستوفر » إلى دمشق بعد التصلب السورى قد بدأ فى الذوبان .. وها قد أصبح الطريق الآن ممهداً أمام السوريين للدخول فى « الفخ الإسرائيلى » بعد تصريحات فاروق الشرع الأخيرة بأن كثيراً من العقبات قد ذللت ، وبأن فحوى تصريحات المسئولين الإسرائيليين حول الجولان تبشر بالخير لا سيما وأن الصحافة الإسرائيلية قد بدأت بدورها تهيئ الجو أمام المستوطنين لكى يغادروا مرتفعات الجولان إلى مستعمرات جديدة كانت قد شيدت من قبل تحسباً لهذه الخطوة ..

ومن الواضح أن العلاقات السورية الأمريكية قد بدأت فى التحسن خلال إدارة الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش ، وتابعت تطورها بعد تسلم كلينتون الرئاسة على الرغم من بقاء دمشق على لائحة الدول التى تعتبرها واشنطن مساندة للإهاب .. كما تردد بعض الدوائر السياسية والدبلوماسية بأن دمشق كانت قد قدمت العديد من مبادرات حسن النية تجاه الولايات المتحدة للمساعدة فى إيجاد مناخ ملائم للسلام فى المنطقة .. كما أشارت فى هذا الصدد إلى قرار دمشق السماح لليهود المقيمين فى سوريا بالهجرة إلى الخارج وإلى إسرائيل بالذات .. ويقدر عدد هؤلاء اليهود بأربعة آلاف يهودى .. وكذلك تعاون دمشق مع بعثة أمريكية كانت تتقصى الحقائق عن مصير سبعة جنود إسرائيليين كانوا قد فقدوا فى لبنان عام ١٩٨٢م .. ولقد كانت آخر هذه المبادرات هى المقابلة التى منحها وزير الخارجية السورى فاروق الشرع للتليفزيون الإسرائيلى والتى قال فيها : إن سوريا ترغب فى السلام العادل والشامل والكامل مع إسرائيل .

* * *

هل تقع سوريا فى الشرك الإسرائيلى ؟ :

وحين تقع سوريا فى « الشَّرَك » الإسرائيلى فتوقع معاهدة سلام جديدة مع إسرائيل ـ وهو ما يؤكده كل المراقبين السياسيين ـ يكون لبنان هو الآخر قد رفع غصن الزيتون فى وجه إسرائيل ، وكفَّ عن كل المطالب الوطنية بما فيها سرقة مياه الليطانى لتغذية المشاريع الإسرائيلية ، ويكون قد أعلن الراية البيضاء ، واختصر من حساباته الوجود الإسرائيلى فى الجنوب ولم يعد يتحدث عن ميلشيات فؤاد لحود ـ الذى خلف سعد حداد ـ وهى الميلشيات المتمركزة على الشريط الحدودى والتى تأخذ تعليماتها مباشرة من إسرائيل .. وسوف يستتبع ذلك بالطبع أن يتخذ لبنان موقفاً متشدداً من ميلشيات حزب الله التى اعتادت أن تؤرق بضرباتها الموجعة وصواريخها بعيدة المدى أمن المستوطنات الإسرائيلية على الحدود !!!

ولا نستبعد أيضاً أن يكون فى مخطط لبنان بعد السلام أن يطلب من إسرائيل أن تشارك فى إعمار بيروت بعد الدمار الذى أصابها والذى خلَّفته الحرب الأهلية خلال ستة عشر عاماً حتى يعود للمدينة العتيقة مجدها القديم ، وتألقها المتميز ، وأضواؤها المبهرة ، وأن يرجع لبنان كما كان مركزاً مالياً .. وسوقاً تجارياً .. وملتقى عالمياً فيستعيد وصفه القديم الذى انفرد به دون بقية العواصم العربية عندما كانوا يطلقون عليه « سويسرا الشرق » .

نعم .. حين توقع سوريا معاهدة سلام مع إسرائيل تكون قد أزيلت كل القواعد العسكرية العربية فى مواجهة إسرائيل ، وتكون قد سقطت كل الحوائط العائقة ، والحواجز المانعة .. وعند ذلك فلن تستطيع

الولايات المتحدة الأمريكية أن تتهم « حافظ الأسد » مرة أخرى بأنه الرجل الذى يحمى الإرهاب ويموله ، وبأنه الرجل الذى كان وراء خطف الطائرات ، وضرب السفارات ، ومخطط الاغتيالات .. لن تستطيع الولايات المتحدة بعد توقيع معاهدة السلام السورية الإسرائيلية أن تسحب سفيرها من دمشق لأن سوريا كانت وراء محاولة تفجير طائرة إسرائيلية فى مطار هيثرو .. أو وراء خطف الرهائن وإرسالها إلى مخابئ حزب الله .. لأن سوريا قبل توقيع المعاهدة غير سوريا بعد توقيع المعاهدة .. فلكل حادث حديث .. ولكل مقام مقال .. ولكل وقت أذان .. وأعداء الأمس هم أصدقاء اليوم .. وكما تقول الحكمة الأمريكية : ليست هناك صداقات دائمة ولا عداوات دائمة .. ولكن هناك مصالح دائمة .. ومنذ أن عرفنا الدنيا والتغلغل اليهودى الصهيونى يضرب أطنابه فى الولايات المتحدة الأمريكية فى كل المجالات لا سيما المجال المالى والتجارى والإعلامى فأصبح التأييد الأمريكى المطلق لبنى يهود ضمن مخطط الحزبين الكبيرين وهما يتناوبان الحكم من قديم فى الدنيا الجديدة .. وهذا هو المنطق الأمريكى اللعين !! ولا غالب إلا الله .. والذى قطع دابر إحدى الدولتين العظميين قادر على أن يقطع دابر الأخرى ويستأصل شأفتها .. وليس ذلك على الله بعزيز .

* * *

ماهو السر وراء هذا الفاصل الزمنى ؟!! :

ولا أدرى .. ما هو اسم الزعيم العربى الذكى .. أو اسم الشيطان الإسرائيلى الشاطر الذى خطط ليكون الفاصل الزمنى بين توقيع معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية وبين انعقاد « القمة الاقتصادية الشرق

أوسطية » فى الدار البيضاء هى أربعة أيام فقط حتى تحتفظ إسرائيل بالدفء الأمنى الاقتصادى ، وحتى تتخلص نهائياً من المقاطعة العربية التى ظلت طوقاً فى رقبة إسرائيل وقيداً فى أيديها أكثر من ثلاثين عاماً .. فقد كان قد تحدد لتوقيع اتفاقية السلام الأردنية الإسرائيلية يوم الأربعاء الحزين ٢١ من جمادى الأولى ١٤١٥هـ الموافق ٢٦ أكتوبر ١٩٩٤م .. وتحدد يوم الاثنين الذى يليه مباشرة موعداً لانعقاد « القمة الاقتصادية للشرق الأوسط » التى كان الوفد الإسرائيلى فيها أكبر الوفود عدداً .. حيث حضر أكثر من نصف الوزراء الإسرائيليين بالإضافة إلى شيمون بيريز وما يقارب الـ ١٥٠ خبيراً إسرائيلياً فى كل التخصصات المالية والاقتصادية والتجارية والصناعية والزراعية .. يليه الوفد الأمريكى من حيث العدد والخبراء .. ثم بعد ذلك الوفد المصرى [عجبى !!!] .

ولأول مرة فى تاريخ المؤتمرات الدولية على مدى التاريخ الذى انعقدت فيه مؤتمرات يصل عَدَدُ وفد واحد فيه إلى أكثر من مائة وخمسين عضواً يخططون فى المنطقة لقلب الموازين ، وصياغة القوانين ، وتهيئة الأجواء ، وفتح الأسواق أمام السلع الإسرائيلية .. المدسوس منها والمغشوش .. الفاسد منها والموبوء حتى يتحقق أمل عزيز جاء على لسان « عاهل عربى كبير » منذ أكثر من عشر سنوات وكان نصه بالحرف :

« متى يجيئ الوقت الذى تتحد فيه الأموال الخليجية مع الخبرة الإسرائيلية .. متى تتاح الفرصة لتتعاون التكنولوجيا الإسرائيلية مع الأيدى العاملة العربية حتى يعود ذلك على الجميع بالنفع الكبير والخير العميم » !!

أتدرون من الذى قال هذا الكلام منذ أكثر من عشر سنوات ؟ إنه

الرجل العربى المسلم الذى ارتضاه الجميع رئيساً للجنة القدس .. يعنى الرجل الذى تعهد بحماية المدينة المقدسة وتحريرها من براثن بنى صهيون .. الرجل الذى صرح أكثر من مرة يهاجم فيها الرفض الإسرائيلى لقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن .. الرجل الذى شجب أكثر من مرة الممارسات الإسرائيلية الإجرامية ضد الشعب الفلسطينى ، والقمع الهمجى اللاإنسانى لأصحاب الأرض الحقيقيين .. الرجل الذى أدان أكثر من مرة بناء المستوطنات على الأرض العربية لاستيعاب النازحين اليهود من جميع أنحاء الأرض بعد طرد كل أصحابها الأصليين .. الرجل الذى استفظع أكثر من مرة استخدام البلدوزر فى هدم بيوت الفلسطينيين ، وإجلائهم عن ديارهم ، وتكسير عظامهم ، وتصفيتهم جسدياً إذا ضاقت بهم السجون الإسرائيلية وعجزت عن استيعابهم وراء الجدران !!

أتدرون ماذا قال الملك الحسن الثانى حامى القدس وحارس بوابتها .. أتدرون ما هى آخر « تصريحاته » بعد مقررات « القمة الاقتصادية الشرق أوسطية » التى انعقدت فى الدار البيضاء .. لقد قال بالحرف كما نشرت بعض الصحف المصرية الحكومية :

« على الذين يطالبون بعودة القدس إلى العرب مرة أخرى أن يكُفُّوا عن ترديد ذلك نهائياً .. إن المطالبة بعودة القدس إلى العرب ضرب من الوهم والخيال » !!

ولا تعليق لنا على هذا التصريح بعد أن اختلطت الأوراق ، وبعد أن طمست الحقائق ، وبعد أن جعلوا الباطل حقاً والحق باطلاً .. فلا نريد أن نبرئهم إذا ادّعوا أنهم قد أصيبوا بعمى الألوان !!

ماذا يراد بنا بعد السوق الشرقأوسطية ؟!! :

وليس هذا « الختام » مجالاً للتحدث عن خبايا « مؤتمر الشرق أوسطية » وأسراره وخفاياه .. فإن ذلك يحتاج إلى مجلدات .. حيث أن هذا المؤتمر الذى خطط له مهندسو المنطقة الذين يريدون للأمة العربية والإسلامية أن تنصهر فى بوقتة المشاريع الإسرائيلية ، ويريدون للاقتصاد العربى والإسلامى أن يذوب فى الاقتصاد الإسرائيلى الذى يصفه الخبثاء بالجنة الموعودة .. ليس هذا مجال الحديث المستفيض عن « قمة الشرق أوسطية » ولكن فقط نسجل هنا التصور الأمريكى الذى عرضه وزير الخارجية الأمريكى « وارين كريستوفر » فى المؤتمر ولخصه فى أربع نقاط كان ترتيبها كالآتى :

أولاً : تسهيل حركة البضائع .. وحركة العمالة .. وحركة الفكر عبر الحدود .

ثانياً : إنشاء لجنة من الخبراء لوضع أسس بنك إقليمى للتعاون الاقتصادى والتنمية رأس ماله عشرة مليارات من الدولارات [طبعاً يتحمل العبء الأكبر فيها دول المنطقة بدعم من دول النفط] !!

ثالثاً : إنشاء مجلس سياحى يعمل على تسهيل سفر ملايين السياح فى رحلات جماعية ما بين دول المنطقة والخارج [طبعاً المقصود بهذه النقطة أن تفتح أبواب السياحة بين دول المواجهة التى كانت تقاطع إسرائيل وبين إسرائيل لتتخلص إسرائيل من قيد مقاطعة عربية ظلت عشرات السنين] !!

رابعاً : إنشاء مجلس إقليمى لرجال الأعمال يكون بمثابة (الغرفة التجارية) تتبعها كل الغرف التجارية الموجودة فى دول المنطقة

وعلى رأسها الغرفة التجارية لكل بلد عربى بما فيها دول الخليج لدفع فرص التجارة ، ومتابعة إجراءات إنهاء القيود ، وتحديث الضرائب ، والإجراءات القانونية ، ورفع (الأيدى الثقيلة) للقواعد الحكومية إلى أدنى حد ممكن .

وهذه النقاط .. أو البنود .. أو المواد كما هو واضح تخاطب سوقاً يربو عدد أفراد أهله على الثلاثمائة مليون مستهلك ، وجميعها تتضمن متطلبات تتركز فى (دعم التطبيع) كما تريده إسرائيل تماماً .. فأين ما نريده نحن العرب والمسلمون ؟!!

وهذه المقترحات الأمريكية الأربعة لم تأت من فراغ .. وإنما سبقتها دراسات وندوات .. ومؤتمرات .. وموائد مستديرة بدأت واشنطن تحشد لها الخبراء من كل الأنحاء منذ مؤتمر مدريد .. وكما تقول مها عبد الفتاح مراسل أخبار اليوم فى واشنطن فإن الإعداد لهذا المؤتمر قد استغرق نحو ثلاث سنوات تدفع فى هذا الاتجاه وتعبئ .. وكان من نتاج هذه الدراسات أن صدرت كتب ونشرات وأبحاث فى اقتصاديات السلام .. والبنك الدولى وحده نشر تقارير تشمل معلومات وتوصيات تملأ عدة كتب .. أما « جامعة هارفارد » فقد نشرت كتابين حول « اتفاقيات السلام فى المنطقة » من نتاج ندواتها التى دعت إليها خبراء من الدول العربية وإسرائيل والولايات المتحدة .. هذا بالإضافة إلى كتاب شيمون بيريز (الشرق الأوسط الجديد) الذى صدر فى أعقاب « اتفاقية أوسلو » بخلاف كتاب جديد آخر أصدره (معهد بروكنجز) بعنوان « السلام والزبد » لمؤلف يسمى «يحيى سودوفسكى » ويتضمن تحليلاً عن الاتفاق على التسليح فى الشرق الأوسط .

التصور الإسرائيلى للمؤتمر وخدعة تخفيض الإنفاق على التسليح :

هذا فى التصور الأمريكى .. أما فى التصور الإسرائيلى فإن إسرائيل تدعى أنه لو نجح هذا المؤتمر وحقق أهدافه فإن من أهم ما سيترتب عليه التخفيض الهائل من الإنفاق على التسليح .. وهذا خداع جديد فإن تخفيض الإنفاق على التسليح لم يكن وارداً فى الخطط الإسرائيلى ولا حتى على المدى البعيد لعدة أسباب أهمها الآتى :

أولاً : إسرائيل لن تتخلى عن برنامجها التسليحى حتى ولو أدى ذلك إلى إلغاء اتفاقيات السلام .. وذلك فضلاً عن برنامجها النووى .. وآخر ما نشر من أنباء ما أكدته صحيفة « التايمز » البريطانية أن إسرائيل لديها ما لا يقل عن ٢٠٠ سلاح نووى .. ونقلت الصحيفة ذلك عن تقرير نشرته موسوعة « جينز » العسكرية أن تقارير المراقبة السرية الفضائية والتى قامت بها الأقمار الصناعية الروسية والفرنسية أشارت إلى أن إسرائيل لديها هذا العدد الكبير من الأسلحة .. فضلاً عن المخزون من السلاح الأمريكى فى مستودعات إسرائيل بمقتضى « معاهدة التعاون الاستراتيجى » التى وقعتها إسرائيل مع الولايات المتحدة إبان حكم الرئيس الأمريكى الأسبق « رونالد ريجان » .. [نؤكد مرة أخرى أن إسرائيل قد رفضت حتى الآن أن توقع على أى اتفاق يتضمن أن تخضع إسرائيل لتدخل أى لجنة دولية يمكن أن تتقصى حقيقة احتفاظ إسرائيل لسلاح نووى مهما بلغت هذه اللجان من قوة ومهما تسلحت بالحصانة الدولية] .

ثانياً : لدى إسرائيل قناعة تامة بأن الخلافات العربية العربية سوف تستمر إلى ما لا نهاية .. وما دامت هناك خلافات عربية عربية فلن تتوقف أى من هذه الدول عن تسليح نفسها بشتى أنواع الأسلحة .. فالعراق فى نزاع مع الكويت .. وإيران فى نزاع مع العراق ..

والمغرب فى نزاع مع موريتانيا والبوليساريو .. ومصر فى نزاع مع السودان .. وهكذا .. والكل يسعى لشراء السلاح حتى آخر اختراع .. أو آخر تصميم .. أو آخر موديل .. أو آخر آلة دمار شامل .. ولا يمكن لإسرائيل أن تتخلى عن السلاح أو تقف مكتوفة وهى ترى الدول العربية تتسابق إلى شراء السلاح من أوربا وأمريكا والصين ، وتوجه معظم دخولها لبناء ترسانات السلاح .. وإذا كان هذا السلاح العربى فى نظر إسرائيل موجهاً اليوم ضد العرب بعضهم البعض فمن باب أولى أن يوجه إلى إسرائيل غداً .. وهى ـ كما يفهم العرب ـ العدو الأول ، والخصم المتربص بالعرب والمسلمين الدوائر على مدى ما يقرب من خمسين عاماً .

ثالثاً : لن تتخلى إسرائيل عن الشعار التقليدى الذى ترفعه على واجهة الكنيست والذى يحدد مملكة إسرائيل بهذه العبارة : « من النيل إلى الفرات » .. نعم قد تجلو إسرائيل عن الجولان .. وقد تتخلى عن الضفة الغربية .. وقد تجمد مؤقتاً إقامة المستوطنات ، وقد تفرج عن المسجونين الفلسطينيين وعددهم خمسة آلاف .. ولكن شيئاً واحداً فقط هو الذى لن توافق عليه [ولن للتأبيد] مهما بلغت حدة النزاع العربى الإسرائيلى ويتمثل فى الآتى :

(أ) تجميد برنامج التسليح الاستراتيجى .. النووى وغير النووى .

(ب) التخلى عن القدس كعاصمة أبدية للدولة اليهودية .

(ج) نزع اللافتة التى تحمل الشعار التقليدى (من النيل إلى الفرات) من على واجهة الكنيست الإسرائيلى .. فهذا الشعار هو الذى تنطلق منه إسرائيل فى برامج التوسع الاستيطانى لاستقبال مزيد من المهاجرين اليهود من أنحاء العالم .

(د) الكف عن محاولات الدس والوقيعة وإثارة النعرات بين دول المنطقة حتى يستمر النزاع الطائفى والعرقى بين شعوبها فيكون الطرف الإسرائيلى هو الطرف المستفيد على طول الطريق .

* * *

ويقول المراقبون : إن فكرة مؤتمر « كازابلانكا » أو قمة الدار البيضاء الشرق أوسطية تدور حول تحويل السلام من اتفاقيات بين حكومات إلى مصالح بين الشعوب ..

ونحن نقول : إن هذا المؤتمر الذى يسيل لعاب « المخدوعين » سيكون حسب ما هو مخطط له الخطوة الأهم للهيمنة على كل الأسواق العربية ويقدر عدد المستهلكين فيها كما قلنا من قبل بأكثر من ثلاثمائة مليون نسمة يمكن أن يعتمد عليهم المصنع الإسرائيلى ، والتاجر الإسرائيلى ، والبنك الإسرائيلى .. والسوق الشرق أوسطية باختصار فرصة ذهبية لإسرائيل وحدها بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى لا سيما وأن إسرائيل دولة تعتمد على المعونات الأمريكية ، والتعويضات الألمانية ، والدعم الأوربى ، وتفتقر إلى الثروة البشرية .. وإسرائيل تستهدف من وراء ذلك إلى تقسيم المنطقة إلى تخصصات .. فإسرائيل تخطط لنفسها ـ وهى الآن السيد المطاع ـ لأن تكون دولة التكنولوجيا المتقدمة فى المنطقة ، وأن تكون القاعدة الصناعية فيها .. على أن توفر فلسطين ولبنان ومصر العمالة الماهرة .. أما بقية الدول العربية فإما أن تقدم العمالة الرخيصة من حرفيين وزراعيين وغيرهما .. وإما أن يقتصر دورها على كونها سوقاً استهلاكياً رهيباً يمكن أن يمتص كل ما تنتجه المصانع الإسرائيلية من سلع استهلاكية ومواد تموينية ،

ومنتجات زراعية فى ظل مشروع الشرق أوسطية الذى جندت الولايات المتحدة وإسرائيل ومصر والمغرب كل جهودهم لإنجاحه مهما اعترضته من عقبات !!

* * *

الإنجاز الثانى فى تاريخ إسرائيل :

ولقد وصل التهافت العربى على الاشتراك فى « مؤتمر كازبلانكا » أو « القمة الشرق أوسطية » حداً بلغ بشيمون بيريز وزير الخارجية الإسرائيلى أن يقول ساخراً تعليقاً على هذا التهافت :

« أخشى أن يطالب العرب إسرائيل بأن تكون عضواً فى جامعة الدول العربية » !!

وصدق إسحاق رابين حين قال :

« إن قمة الشرق أوسطية تعتبر بلا منازع الإنجاز الثانى مباشرة للدولة العبرية بعد الإنجاز الأول وهو : إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ » !!!

صدق إسحاق رابين وهو كذوب !!

وقديماً سئل موشيه دايان وزير الدفاع الإسرائيلى الأسبق : لماذا تعلن إسرائيل عن خططها هكذا بلا تحفظ ؟ فقال : « إن العرب لا يقرأون » .. وأنا بدورى أستكمل ما قاله دايان حتى يكون الجواب هكذا : إن العرب لا يقرأون . . وإذا قرأوا فهم لا يفهمون .. وإذا فهموا فهم لا يفعلون .. وإذا فعلوا فهم يتخبطون » !! ..

حسن عاشور

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
ماقبل الكتاب	١٣
هل كلهم مجانين	٢٤
موقف أمريكا المفضوح	٢٦
تضارب التصريحات فى أقوال الشهود	٢٨
هل كان بالإمكان تدارك الموقف	٣٠
أطفال الحجارة نجحوا فيما فشل فيه الجنرالات	٣٢
وأخيراً وليس آخراً	٣٥
الأردن واختصار الطريق	٣٧
دور سوريا وبيت القصيد	٣٩
متى تسقط سوريا وتخضع للضغوط	٤١
الجامعة العربية تنتقد قرار الأمم المتحدة	٤٨
مقدمة الكتاب	٥٣
تمهيـــــــد	٦٣
لم يتكلم السيف ولم يسقط القلم	٦٥
السيف يتوقف عن الكلام	٦٦
وشهد شاهد من أهلها	٦٩
مزيداً من الجرائم ومزيداً من الإذلال	٧٣
خناجر عنترية وسيوف من ورق	٨١
المأساة بلا رتوش	٩١
ما زلنا نجهل أعداءنا	٩٣
الجريمة والصدى	١١٥
نحن نحرث فى البحر	١٣٣
خاتمة المطاف	١٣٩

الموضوع	الصفحة
لقد بلغ السيل الزبى	١٤١
عدو غاشم وأمة تلهو	١٤٦
الحـــل : الإسلام هو الحل	١٥١
وماذا عن الشخصية الإسرائيلية	١٥٧
أربعة أفكار يقوم عليها حزب كاهانا	١٦١
الخـــاتمة	١٦٩
المأساة تتكرر فى الأردن	١٧١
فقط نذكر العاهل الأردنى	١٧٣
أول زيارة علنية يقوم بها الملك حسين لإسرائيل	١٧٥
العقبة الأخيرة أمام إسرائيل	١٧٧
ما هو السر وراء هذا الفاصل الزمنى	١٨٠
التصـور الإسـرائيلى للمؤتمـر وخدعـة تخفيض الإنفـاق على التسليح	١٨٥

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٤/١٥٤٥

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـــ ١١٢٣١

كلمة الناشر

تعودت فى دار الاعتصام أن أقدم لكل منشور من مشوراتها .. أو أن ألخصه فى عجالة تحتل ظهر الغلاف .. ولكنى فى هذا الكتاب « مذبحة الحرم الإبراهيمى » لم أجد له أنسب ولا أولى من هذه الكلمة التى نشرها أستاذنا الكبير الداعية الملهم الشيخ « محمد الغزالى » فى جريدة الشعب تحت عنوان (هذا ديننا) فآثرت أن يستفيد بها قارئ هذا الكتاب الوثائقى الذى يكشف كثيرًا من أوراق اللعبة فى القضية الفلسطينية المزمنة التى استعصى حلها دوليًا ومحليًا على مدى خمسة وأربعين عامًا تقلبت خلالها فى ردهات الأمم المتحدة ، ودهاليز مجلس الأمن .. منذ عهد الأمريكي « تريجفلى » أول سكرتير عام للأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية وحتى عهد الأمين العام الحالى .. صاحب الصفحات السود .. عميل الصرب واليهود « بطرس .. بطرس .. بطرس غالى » .. وفيما يلى كلمة الشيخ الغزالى التى لا تحتاج إلى تعليق أو تعقيب :

حسين عاشور

لم أشعر بدهشة لمجزرة الحرم الإبراهيمى ، ولا أستغرب أمثالها من اليهود فى أى وقت ، ولا فى أى بلد ! ففى نصوص العهد القديم ما يوحى لبنى إسرائيل أن يقوموا بحرب الإبادة ضد أعدائهم ، وأن يستأصلوهم دون هوادة .. رجالاً كانوا أو نساء .. شبابًا كانوا أو أطفالاً !! إن الأوامر الدينية تطلب منهم أن يزيلوا الحياة من المدن التى تسقط فى أيديهم .. فلا زرع ولا ضرع .. وإذا كان اليهود يرجئون أحيانًا تنفيذ هذه الوصايا المقدسة (!) فخوفًا من قصاص عاجل وانتقام عادل .. أما إذا أمنوا العواقب فحرب الإبادة للأعداء لا بد من إنفاذها .. لقد تقمصتهم طبيعة الذئاب الشرسة .. لا تستريح حتى تقضم فريستها وتوردها الحتوف .. ولذلك قال الله فيهم : ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾ .. وقال لهم : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ .. والغريب أن العالم المتمدن فى أوربا وأمريكا يستهجن هذه السيرة القذرة ، ولم يحاول وقاية المستضعفين منها ، بل إن بعض الساسة الكبار يرى أن اليهود فى احتلالهم لفلسطين يقومون بالدور الذى قام به مكتشفو أمريكا واستراليا عندما استأصلوا الهنود الحمر ، ومهدوا الأرض للمستعمرين الجدد .. إن السكان الأصليين حُصِدوا حصدًا وحل محلهم أقوام يزعمون أنهم يحملون « الكتاب المقدس » وما حملوا إلا شهوات الفتك والاستعلاء .. لقد كانوا يملأون البطاطين بجراثيم الجدرى ، ويرسلونها إلى أصحاب البلاد الأصليين حتى يقتلوهم ويرثوا أرضهم .. ولذلك قال [برنارد شو] :

« لا أستبعد أن تستدعى ذرارى الجنس الأبيض لتقدم حسابًا عن هذه المسالك الوحشية .. وإذا كان أهل فلسطين ينتظرون من اليهود أفضل من هذا المصير فهم واهمون » ..

إن الضمير الصهيونى وضع خططًا بعيدة المدى لإهلاك العرب والانفراد بالأرض المقدسة .. والعرب فى منطق هذا الضمير غير جديرين بالحياة لأنهم مغتصبون لتراث إسرائيل .

إن المذابح المتوقعة لن تكون إلا شرًا من « دير ياسين » ، وأمثالها مما اقترف اليهود .. إن اليهود بدوافع دينية توراتية وتلمودية لا يطيقون وجود العرب ، ولا يعترفون لهم بحق الحياة .. وإسرائيل التى يرمقون قيامها لا تقوم إلا على أنقاض العرب دينًا ودنيا .. والويل للمغلوب ! وسماسرة إسرائيل من العلمانيين يبعدون الإسلام عن المعركة حتى لا تجد العقيدة اليهودية عقيدة دينية تقاومها وتعترض أطماعها .

فليفق المسلمون من الإغماء الذى غابوا فيه قبل أن يستفيقوا على الذبح .

محمد الغزالى